"قواعد قرآنية في بناء ونهضة الأمة الإسلامية"

الدكتور محمود مصالحة

باحث في الدراسات الإسلامية

الداخل الفلسطيني

mhmoodmassalha@gmail.com

1446هـ - 2025م

الملخص:

القواعد القرآنية هي أسس انطلاق مشروع نهضة الأمة الإسلامية، الذي يهدف لإخراجها من الأزمات التي أحدثتها القومية العربية المستوردة، بعد أن أزاحت نظام الحكم الإسلامي، واستبدلته بالأنظمة القومية العربية العلمانية المستجلبة، بدءًا من أزمة القيم التربوية، وأزمة الانتماء والهوية، والأزمة الفكرية، وأزمة الضعف والتخلف العلمي والتكنولوجي، وأزمة التبعية الاستعمارية الناجمة عن قابلية القومية العربية للاستعمار أيديولوجيًا وفكريًا وعسكريًا، وأزمة الوحدة العربية، بعرقلة الجامعة العربية مبدأ الوحدة، ووقوفها سدًا أمام وحدة الأمة العربية والإسلامية، وأزمة التكامل الاقتصادي والأمن القومي العربي الذي بات ليس إلا شعارات. ولقد جسَّدت هذه الأنظمة قابليتها الاستعمارية بتحالفها مع الولايات المتحدة الأمريكية ضد دول عربية شقيقة، فغزت معها دولة العراق، وسُلِم حكم العراق للشيعة الإيرانية فحولته لأزمة أشد، وأزمة حكم لقلة من القوميين، وعسكر الأنظمة العربية القطرية، وبالدعم الغربي أحدثت الجيوش العربية انقلابات على خيار شعوبهم الانتخابي، وقد حدث ذلك في مصر وتونس، وأزمة صراعات دول قطرية عربية، مما زاد الأمة ضعفًا وتبعيةً على تبعية، وأزمة فقدان سيادة الدول العربية بتواجد قواعد القوات الأمريكية الجاثمة على أراضيها، وها هو التاريخ الإسلامي يُدّون فشل المشروع القومي المستورد، الذي أسموه عربيًا، فعلى الشعوب العربية والإسلامية أن تبادر إلى تخليص الأمة من أزماتها بالمنظور الإسلامي البديل المرتكز على عقيدتها وشريعتها المستَمدة من كتاب الله عز وجل، دستور الأمة وعنوان هويتها ووحدتها وقوتها وسيادتها ونهضتها، ومن ثم الانطلاق بالأمة الإسلامية والعربية وفق القواعد القرآنية. ولقد اجتهد الباحث في استخلاص القواعد القرآنية من كتاب الله تعالى التي تشكل أسس هامة في إعادة البناء النهضوي للأمة الإسلامية، لتتبوأ المكانة القيادية العالمية من جديد.

Abstract

The rules found in the Qur'an are crucial for starting the project to revive the Islamic nation. This project aims to help the nation overcome problems caused by Arab nationalism that was brought in from outside. Arab nationalism pushed aside the Islamic way of governing and replaced it with different non-religious Arab systems. This led to issues like a crisis in educational values, problems with feeling like you belong and know who you are, difficulties in thinking clearly, and falling behind in science and technology. There were also problems with depending too much on other

countries, like when Arab nationalism was easily influenced by colonial powers in terms of beliefs, thoughts, and military actions.

There were challenges with Arab countries coming together as one, with the Arab League not supporting the idea of unity and actually getting in the way of Arab and Islamic unity. Economic teamwork among Arab nations and keeping the region safe became less important and more like just talk. The leaders of these countries showed their colonial side by teaming up with the United States against other Arab nations. For example, they worked together in invading Iraq and then let Iranian Shiite Muslims take control there, making the situation even worse.

The few leaders in charge in Arab countries, along with the military, often went against what the people wanted, supported by Western countries. This happened through military takeovers in places like Egypt, and Tunisia. Conflicts between different Arab countries made the nation weaker and more dependent on others. Also, the presence of American military bases in Arab lands led to a loss of control and power for Arab nations.

In Islamic history, it's clear that the imported idea of Arab nationalism failed. Now, it's up to Arab and Islamic people to solve the nation's problems using Islamic beliefs and laws from the Quran as a guide. These beliefs and laws should be the basis for the nation's constitution and its identity, unity, strength, power, and rebirth. By following the rules in the Quran, the Islamic and Arab nation can move forward positively once again. A researcher has worked hard to highlight these Quranic rules as key principles for rebuilding the Islamic nation and leading on a global scale.

تشمل خطة البحث: ملخصًا ومقدمة وعشرة مطالب واستنتاجات، وقد اعتمد الباحث في هذه الدراسة على المنهاج التاريخي والوصفي والاستقرائي والتحليلي والنقدي والاستنتاجي.

المطلب الأول: قاعدة العبودية.

المطلب الثاني: قاعدة العلم.

المطلب الثالث: قاعدة المنهجية الإسلامية.

المطلب الرابع: قاعدة وحدة الأمة الإسلامية.

المطلب الخامس: قاعدة الشمولية.

المطلب السادس: قاعدة الانتماء والهوية.

المطلب السابع: قاعدة الوسطية.

المطلب الثامن: القاعدة الأمنيةُ.

المطلب التاسع: قاعدة الولاء والبراء.

المطلب العاشر: قاعدة الاستخلاف الحضاري العالمي.

المقدمة:

لقد أغرقت الأنظمة القومية العربية الأمة بأزمات لا حصر لها، بعد إزاحة النظام الإسلامي، فقد تسببت بانهيار وحدة الأمة ونزع هيبتها، وتفككها وانحسارها، وإن أخطر الأزمات التي تواجهها هي القابلية القومية العربية للاستعمار، حيث تم لأصحاب الفكر القومي الوضعي المستورد الاستيلاء على أنظمة الحكم العربية والإسلامية، وإزاحة النظام الإسلامي الشمولي الذي ساد ما يقرب ألف عام، وعلى إثر انتصار الاستعمار على الخلافة العثمانية الإسلامية، تمَ سلْخ الوطن العربي عن جغرافية الأمة الإسلامية، وعمل القوميون العرب على انفصال الوطن العربي، وتحوله لنظم قومية عربية مستوردة بديلة للنظام الإسلامي الوحدوي المتمثل بالدولة العثمانية، وفُرضت معاهدة (سايكس بيكو) الأنجلو فرنسية على الشعوب العربية، وأُقيمت الجامعة العربية عام 1945م لتكرس الانقسام، ولتكون أعلى المؤسسات القومية الرافضة لوحدة الجامعة الإسلامية، ولم تستعيد الأنظمة القومية العربية سيادتها السياسية والاقتصادية والدفاعية، وما تزال متخلفة عن ركب التطور التقني الغربي، بل جَعلت هذه الأنظمة دولها أسواقاً تجارية للصناعات الغربية، ودخلت في نفق التبعية الاستعمارية. يقول ابن خلدون في البناء الحضاري العمراني: "أن الاجتماع للبشر ضروري، وهو معنى العمران الذي نتكلم فيه، وإنه لابد لهم من اجتماع من وازع حاكم يرجعون إليه ..."[1]. إذن لا بد من اجتماع الأمة جميعها على حاكم للدولة الإسلامية، وليس على حكام لأنظمة قطرية متفرقة، وتجربة دولة الخلافة الإسلامية الحضارية هي الدليل القاطع، على سيادة القوة والعزة والمنعة الكاملة.

وسيؤصِّل الباحث في هذه الدراسة الموسومة "بقواعد قرآنية في بناء ونهضة الأمة الإسلامية" بالآيات القرآنية الكريمة، في ظل النُظُم الانتهازية الغربية الكبرى، وأيديولوجيتها الرأسمالية.

[1] ابن خلدون، عبد الرحمن، مقدمة ابن خلدون، المكتبة العصرية، تحقيق درويش الجويدي، 2021م، بيروت، ص (277-278).

إن المهمة الكبرى لإنزال القرآن الكريم، هو تغيير الواقع بإنشاء الأمة الإسلامية التي تحمل رسالة الإسلام العالمية، وها هو الباحث يضع أسس لمشروع نهضة الأمة الإسلامية المرتكز على عشرة قواعد قرآنية، منها: قاعدة العبودية، والعلم، والمنهجية الإسلامية، والانتماء والهوية، والحاكمية، والوسطية، في بناء الأمة والدولة الإسلامية، ولكن بالتفاعل الإدراكي والتطبيقي لهذه القواعد التي باتت بحكم الضرورة خاصة في هذه المرحلة المعاصرة، ليكون التغيير بإذن الله للأصلح والأقوَم والأعدل والأنفع، وفق التصور الفكري المقاصدي بمكونات المنظور الإسلامي النهضوي العلمي، ثم الانطلاق بقوة نحو القيادة والريادة العالمية.

كلمات مفتاحية: العبودية، العلم، المنهجية، الوحدة، الانتماء والهوية، الشمولية، الوسطية، والولاء والبراء، الاستخلاف.

المطلب الأول: قاعدة العبودية

العبودية لغة: جاء في لسان العرب أن أصل العبودية الخضوع والتذلل"[2].

أولا: العبودية اصطلاحا: تعني الطاعة والتسليم والتذلل والخضوع والرضى والانقياد لأوامر الله تعالى، والتبرؤ من كل عبودية لسواه. العبودية لله وحده، هي الغاية الوجودية للإنسان، وتشمل كل نية وقول وفعل، وكل عبادة يُبتغى فيها وجه الله تعالى.

فعبوديته وحده لا شريك له هي مقصد الخلق ونشأة الفرد والمجتمع المسلم والأمة الإسلامية، قال تعالى: ﴿**وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ**﴾ [سورة الذاريات: 56].

ثانيا: العبودية في الإسلام هي الكليَّة الإسلامية التي يجب أن تهيمن على الحياة البشرية، أما العبادات بإقامة الفرائض، فهي الجانب الأهم، وهي التطبيق العملي للعبودية، وعُدَّت لب العبودية. والعبودية في الإسلام هي طاعة وتذلل العبد المخلوق لله خالقه جلَّ جلاله، مقتصرة على الله تعالى وحده لا شريك له. ومن مظاهر العبودية في حياة المسلم، بأن يؤمن العبد بربه الخالق والرزاق والمدبر، والمحيي والمميت، والقيوم على مخلوقاته، والمسيِّر لشؤون الكون والحياة، وألا يُشرَك في وحدانية الله تعالى نداً من الأنداد، كصنم أو حجر أو مخلوق من المخلوقات، أو فكرة فلسفية بشرية مناقضة.

ثالثا: من مقاصد العبودية بمفهومها الراقي، أن يكون العبد منقادًا لله تعالى ولشرائعه المتضمنة لأوامره ونواهيه، فالمسلم لا يكون عبداً صادقاً لله عز وجلّ، حتى يكون الله تعالى هو الغاية والمقصد والملجأ، فلا يدعو إلّا ربه، ولا يناجي إلّا إياه، ولا يستعين إلّا به، ولا يتوكل إلّا عليه، ولا يستغيث إلّا به، ولا يُحمد على مكروه سواه، هكذا تتحقق العبودية الصادقة لله تعالى. **ومن مقاصد العبودية** في الإسلام، أنها جاءت

[2] ابن منظور، لسان العرب، دار صادر، ج10، ط4، 2004م، بيروت، ص8.

لتحرير الإنسان من عبودية البشر، ومن عبودية المادة والجاه والسلطان، وتعبيد كل شيء لله تعالى رب كل شيء، لذلك بادرت الشريعة الإسلامية لإعتاق الرقّ وتحرير الرقيق.

رابعا: العبودية هي من أمهات القيم الإسلامية، حيث ترفع العبد المخلص في عبوديته إلى مقام عالٍ عند الله عز وجل، **أما عبودية النبي صلى الله عليه وسلم،** فقد ارتقى بحسن عبوديته، بأن أُسري به وعُرج به إلى السماوات العُلى تكريمًا له، لقوله تعالى: ﴿**سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِّنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَى الَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ لِنُرِيَهُ مِنْ آيَاتِنَا ۚ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ**﴾ [سورة الإسراء:1]. لقد كانت عبوديته صلى الله عليه وسلم أكمل من عبودية ما سبقه من الأنبياء، فهو خير العابدين لله تعالى. ولقد وصفت أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها عبادة النبي فقالت: (**كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يصوم حتى نقول لا يفطر، ويفطر حتى نقول لا يصوم، فما رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم استكمل صيام شهر إلا رمضان، وما رأيته أكثر صياماً منه في شعبان**) [3]. وعن أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها قالت: (**إن النبي صلى الله عليه وسلم كان يعتكف العشر الأواخر من رمضان، حتى توفاه الله**) [4].

أما العبودية في مجال الصدقة، والمبادرة إليها، والمسارعة نحوها، فقد كان صلى الله عليه وسلم صاحب عبادة عظيمة، ومسارعة عجيبة، يعطي عطاء من لا يخشى الفقر. وهذا عُقبة بن الحارث رضي الله عنه قال: (**صليت مع النبي صلى الله عليه وسلم العصر، فلما سلم قام سريعاً، فدخل على بعض نسائه، ثم خرج ورأى ما في وجوه القوم من تعجبهم لسرعته، فقال ذكرت وأنا في الصلاة تبراً– أي ذهباً– عندنا، فكرهت أن يمسي أو يبيت عندنا، فأمرت بقسمته**)[5].

تمَّيزت عبوديته صلى الله عليه وسلم، في كثرة خشيته لله تعالى، وما نجده من رقّة قلبه وسرعة دمعته، وانكسار قلبه عند ذكره لله عزو جل، ووقوفه بين يدي مولاه، وعن عبد الله ابن الشخير رضي الله عنه، قال: (**أتيت النبي صلى الله عليه وسلم وهو يصلي ولجوفه أزيز كأزيز المرجل من البكاء**)"[6].

أما عبودية نوحٍ شيخ الأنبياء عليه السلام، فقد كان عبدًا كثير الشكر لله عز وجل، قال تعالى: ﴿**ذُرِّيَّةَ مَنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ ۚ إِنَّهُ كَانَ عَبْدًا شَكُورًا**﴾ [سورة الإسراء:3]. فالعبودية الحقَّة إخلاص ورفعة وارتقاء

---

[3]. البخاري، باب صوم شعبان (1969).

[4] الشيخان، كتاب الاعتكاف، باب الاعتكاف في العش الأواخر من رمضان، وقي المساجد كلها (2026)، كتاب الاعتكاف، باب الاعتكاف في العشر الأواخر من رمضان، (1172).

[5] البخاري، باب تفكر الرجل الشيء في الصلاة (1221).

[6] أبو داود، باب البكاء في الصلاة (904)، والنسائي، باب البكاء في الصلاة (1214)

ومكانة عالية، بجعل النوايا والأقوال والأفعال في العبادات والأعمال كلها لله سبحانه وتعالى، قال تعالى: ﴿**قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَٰلَمِينَ**﴾ [سورة الأنعام: 16].

المطلب الثاني: قاعدة العلم

هي القاعدة القرآنية العلمية الملازمة لعقيدة التوحيد، التي انطلق نورها باللقاء الأول لرسول السماء جبريل عليه السلام برسول الأرض محمد ﷺ في غار حراء؛ بعد انقطاع دام مئات السنين منذ بعثة المسيح عليه السلام. إن حادث غار حراء حادث ضخم بحقيقته، ودلالاته، وآثاره، حيث اقتضت العناية الإلهية اختيار من بين البشرية محمد بن عبد الله ليكون مهبط النور الإلهي مستودع حكمته سبحانه، فاختاره الله تعالى رسولًا للبشرية، فكان ذلك الحادث الضخم بنزول أمين السماء جبريل عليه السلام على محمد ﷺ، معلمًا وملقنًا قائلًا له: ﴿**اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ**﴾ [سورة العلق:1]. إنه الحادث الضخم بآثاره[7]، حيث غيَّر وجه التاريخ البشري. ولقد أضاءت فكرةٌ في غار، بوميضها رسالة بدأت بكلمة **(اقرأ باسم ربك)**[8]، فقرن العلم بعقيدة التوحيد، وبدأت الأمة العربية بالانتقال نقلة عظيمة من الجهل إلى العلم، ومن الجاهلية الشركية إلى عقيدة التوحيد، ومن الضعف والتمزق والاقتتال القبلي، إلى الوحدة والقوة والعزة، ومن تبعية الروم والفرس إلى قيادة البشرية، ولن تُقاد البشرية إلا بالعلم والإيمان.

أولا: قراءة النبي ﷺ: فكلمة **(اقرأ)** تبين أن قراءة النبي الأمي ﷺ لم تسبقها قراءة، فكانت معجزة القراءة، حيث اقتضت الإرادة الإلهية أن يقرأ النبي ﷺ، بغير أسباب القراءة المتقدمة للناس أي بالتعلم، إنما قراءته كانت بإرادة مسبب الأسباب الله جل جلاله.

ثانيا: تعظيم مكانة العلم في الإسلام: لقد عظَّم الإسلام شأن العلم بتكريم العلماء، ورفع درجاتهم، فالعالم له مكانة رفيعة بعلمه المقرون بعقيدة التوحيد، لقوله تعالى:﴿**يَرْفَعِ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ**﴾ [سورة المجادلة:11]. تتحدث هذه الآية الكريمة عن درجة العالم الرباني ومقامه عند الله تعالى، وتجلَّت فيها أهمية العلم والسعي في طلبه، فقد رفع الله أهل العلم الدرجات الرفيعة والمكانة العالية المرموقة، فكانت متوافقة مع الجهد البحثي في النظر والدرس، حيث إن البحوث شكلت محور التقدم الحضاري للأمة، لذلك فإن عمل العالِم بعلمه، غايته الأولى ابتغاء مرضاة الله، وهو الذي يسخَّر علمه ليكون الباعث على تغيير الواقع، وكلاهما عبودية لله تعالى. قال تعالى: ﴿**وَيَرَى الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ الَّذِي**

[7] قطب، سيد، في ظلال القرآن، دار الشرق، ج6، ط9، 1980م، بيروت، ص3937.
[8] بن نبي مالك، الأعمال الكاملة، أفاق معرفة متجددة، دار الفكر المعاصر، ج3، ط2، 2018م، ص1770.

أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ هُوَ الْحَقَّ﴾[سورة سبأ:6]. لقد قرن الله العلم بعقيدة التوحيد وأمر النبي ﷺ بالعلم، فقال: ﴿**فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ**﴾ [سورة محمد:19].

ثالثا: الدراسات العلمية والرد على العلمانية: إن أهل العلم وما يحملون من الدلائل العلمية والبراهين اليقينية، التي به يرون أن البعث حقٌ فيدمغون أباطيل المنكرين والملحدين الماديين، فبالعلم تُرد ضلالات المضللين، ولقد رفع الله مكانة العلم والعلماء في قوله تعالى:﴿**شَهِدَ ٱللَّهُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَأُوْلُواْ ٱلْعِلْمِ قَآئِمًۢا بِٱلْقِسْطِ ۚ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ**﴾ [سورة آل عمران:18]، "هذا تقرير من الله تعالى للتوحيد بأعظم الطرق الموجبة له، وهي شهادته تعالى وشهادة خواص الخلق، وهم الملائكة وأهل العلم، أما شهادته تعالى فيما أقامه أنه لا إله إلا هو"[9]. يقول السرجاني: "إن بناء الأمم أمر صعب يحتاج إلى جهود متظافرة، وصبر طويل، وعزم أكيد... يسير وفق خطوات محددة، وسنن ثابتة، ويقصد بها السنن الربانية الماضية، منها العمل على الإعداد وفق سنَّة التمكين، لقوله تعالى: ﴿ **سُنَّةَ ٱللَّهِ ٱلَّتِى قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلُ ۖ وَلَن تَجِدَ لِسُنَّةِ ٱللَّهِ تَبْدِيلًا**﴾ [سورة الفتح:23] ...والعلم الذي أعنيه ليس العلم الشرعي فقه الفرائض وهو فرض عين، بل العلوم الحياتية أيضا التي تشمل علوم الطب والهندسة والفلك والكيمياء والجغرافيا وغير ذلك"[10].

المطلب الثالث: قاعدة المنهجية الإسلامية

أولا: المنهجية لغة واصطلاحا

المنهجية لغة: "المنهاج: هو الطريق الواضح، ويقال: نهجت الطريق: أي سلكته، والنهج هو الطريق المستقيم"[11].

المنهجية اصطلاحا: هي خطَّة أو برنامج بحثي ودراسي لمجال ما، للوصول لحقيقة ما، أو للوصول لظواهر واقعية، أكان في المجال العلمي أو التربوي أو الاقتصادي أو السياسي. والمنهجية والمنهج هو طريق وأسلوب يحدد للباحثين كيفية البحث، وفق الوسائل والتقنيات الواجب اتباعُها.

ثانيا: خصائص قاعدة المنهجية: ترتكز قاعدة المنهجية الإسلامية على خصيصة الوسطية، والفطرية ترتكز على العقدية والشريعة والتربية والمعاملات والفكر، وهي من القواعد الهامة في بناء الفرد والمجتمع والأمة،

---

[9] السعدي، عبد الرحمن، تيسر الكريم الرحم في تفسي كلام المنان، مؤسسة الرسالة، ط1، 2002م، بيروت، ص124.
[10] السرجاني، راغب، العلم وبناء الأمم، مؤسسة اقرأ، ط1، 2007م، القاهرة، ص (4-5).
[11] ابن منظور، لسان العرب، دار صادر، ج14، ط4، 2004م، بيروت، ص365.

وإن أي مجتمع لا يتَّخذ له منهجية خاصة به يُبني عليها لينهض بممارستها ويتميز بها، هو مجتمع يعيش في تيه وضياع، لذلك أرسى القرآن الكريم المنهجية الإيمانية المرتكزة أولًا على صفات الله التوحيدية وقدرته المطلقة في العالم الوجودي الدنيوي والأخروي، قال تعالى: ﴿**اللَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ ۚ لَا تَأْخُذُهُ سِنَةٌ وَلَا نَوْمٌ ۚ لَّهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ**﴾ [سورة البقرة: 255].

ثالثا: المنهجية في العقيدة الإسلامية: تنطلق من الأصولية العقدية الأحدية لله الحيُّ بذاته بلا ابتداء، والباقي بذاته بلا انتهاء، له صفات الكمال، وهو القائم بذاته، والقائم على كل حوائج خلقه، وعالِميته الإحاطة بكل شيء، رحمانيته عمت خلقه، لذلك فالمنهجية الربانية القائمة على الأصول الإسلامية علمية المبنى، واقعية الأحداث، قال تعالى: ﴿**وَأَنَّ هَٰذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ ۖ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِ ۚ ذَٰلِكُمْ وَصَّاكُم بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ**﴾ [سورة الأنعام:153]. أي إن هذا هو منهجي الوسطي، وطريقي المستقيم الذي لا اعوجاج فيه، وهذا تصوري في الدعوة لهداية البشرية لرسالة التوحيد.

رابعا: المنهجية في التشريع الإسلامي: تنبثق من أصول الفقه للأحكام العملية التفصيلية الُمنظمة للعلاقات الاجتماعية، والمعاملات المالية، والاستقرار الأمني في الدولة الإسلامية، وتعتمد على المنهج الفكري للعقيدة الإسلامية فيما يتعلق بالتصور الإيماني لحقيقة الكون وما وراء الكون والحياة. إذن المنهجية الإسلامية لا تترك جانب من الجوانب الحياتية إلا وكانت هي الموجهة للأصوب، ولقد جاء في تفسير الشعراوي، "**إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ الَّذِي أَدْعُوكُمْ بِهِ إِلَى مَا يُحْيِيكُمْ: وَهذا مِنْهَاجِي الوسطي الَّذِي أَسْلُكُهُ إِلَى مَرْضَاةِ اللهِ تَعَالَى وَنَيْلِ سَعَادَةِ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ لَا يَضِلُّ سَالِكُهُ، وَلَا يَهْتَدِي تَارِكُهُ**"[12]. وقد أمر عباده باتباع سبيله، ونهاهم عن اتباع السُّبُلَ الْأُخْرَى الَّتِي تُخَالِفُهُ، فتُفرقهم عَنْ طريقه، وعن منهجه. **والمنهجية التشريعية** تشمل المنظومة القضائية المنظِّمة للأمن الاجتماعي، والأمن الاقتصادي، والأمن الصحي، والأمن السياسي، التي تحافظ على الجماعة، قال تعالى: ﴿**ثُمَّ جَعَلْنَٰكَ عَلَىٰ شَرِيعَةٍ مِّنَ ٱلْأَمْرِ فَٱتَّبِعْهَا وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَآءَ ٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ**﴾ [سورة الجاثية:18]، وقوله تعالى جعلناك على شريعة: أي على طريقة وسنة ومنهاج" [13].

والشريعة لغة: مصدها: "شَرَعَ أي تناول الماء بفيه. الشريعة والشرائع: هي المواضع التي يُنْحَدَر إلى الماء، قال الليث: بها ما سمي ما شَرَعَ الله لعباده ... والشِرْعة والشريعة: في كلام العرب: مشرعة الماء، وهي مَوْرِدُ الشاربة التي يشرعها الناس فيشربون منها ويسقون"[14].

---

[12] الشعراوي، محمد، تفسير خواطر الإيمان، دار النور للطباعة والنشر، ج6، القاهرة، 2010م، ص

[13] الطبري، جامع البيان عن تأويل إي القرآن، تحقيق: 178.محمد شاكر، دار ابن حزم، ج13، (ب. ط) 2013م، بيروت، ص178.

[14] ابن منظور، لسان العرب، دار صادر، ج8، ط4، 2004م، بيروت، ص59.

الشريعة اصطلاحًا: هي"ما سنَّ الله من الدين وأمر به، كالصوم والصلاة والحج والزكاة وسائر الأعمال"[15]على سبيل الندب أو الإلزام على الأفراد والمجتمعات، و"شريعة، وشرْع: المصدر شَرَعَ، والشارع هو الطريق إلى المقصد، فالشريعة ما شرع الله لعباده من الدين، والأحكام التشريعية منهجيتها مستنبطة من قواعدها الأصولية، قال قتادة: الشريعة: الأمر والنهي والحدود والفرائض. قال مقاتل: البينة لأنها طريق إلى الحق"[16]، فاتبعها ولا تتبع أهل الضلال.

والأمة التي أرادها الله تعالى أن تنشأ لتحمل رسالة التوحيد للبشرية، إنها الأمة التي تحكمها المنهجية التشريعية المنظمة لشؤنها الحياتية، وهي ذاتها التي تعمل على بناء الأسرة وفق منهجية الأحكام الأسرية وأحكام المواريث، وكذلك هي التي تنظم أحكام العلاقات الاجتماعية، وتعزز وحدة المجتمع المسلم، وأحكام المعاملات الاقتصادية والسياسية والأمنية في الدولة الإسلامية، قال تعالى: ﴿**شَرَعَ لَكُم مِّنَ الدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِ نُوحًا وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَىٰ ۖ أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا فِيهِ ۚ كَبُرَ عَلَى الْمُشْرِكِينَ مَا تَدْعُوهُمْ إِلَيْهِ ۚ اللَّهُ يَجْتَبِي إِلَيْهِ مَن يَشَاءُ وَيَهْدِي إِلَيْهِ مَن يُنِيبُ**﴾ [سورة الشورى:13]. أي شَرَعَ الله لكم أيها المسلمون شريعة تتناسب مع الفطرة البشرية، وينهى عن اتباع شرائع بشرية مستمدة من عند غير الله، "فعليكم أن تقيموا جميع شرائع الدين بأصوله وفروعه بأنفسكم، واحرصوا ألا تفرقكم المسائل وتتحزبوا أحزابًا، وتعاونوا على البر والتقوى ولا تعاونوا على الإثم والعدوان"[17].

خامسا: شمولية المنهجية في الإسلام: ويقصد بذلك، شمول المنهج الإسلامي للجوانب العقدية والتشريعية التربوية والاقتصادية والسياسية والفكرية ونظام الحكم، ويظهر ذلك في الخطاب الموجه للنبي صلى الله عليه وسلم، قال تعالى: ﴿**قُلْ هَٰذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ ۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي ۖ وَسُبْحَانَ اللَّهِ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ**﴾ [سورة يوسف:108]، هذا الخطاب موجه لكل مسلم، أي قل يا رسول الله صلى الله عليه وسلم، وقل أيها المسلم هذه منهجي وطريقي المتميز الذي يعلو على سائر الطرق، قل هذه عقيدتي عقيدة التوحيد، وهذه منهجي في عبوديتي لله عز وجل وحده لا شريك له، وهذه منهجي في التشريع الرباني الأعدل من كل تشريع، وهذه منهجي التربوي القيمي القرآني الإنساني، وهذه منهجي الثقافي والفكري الوسطي الإسلامي المتميز عن كل فكر علماني بشري، وهذه هي هويتي بمركبها الإسلامي الذي يندرج تحته كل مركب عرقي قومي، وهذا هو انتمائي لديني ولأمتي الإسلامية يفوق كل انتماء.

---

[15] المصدر السابق ذاته، ص59.

[16] القرطبي، أبو عبد الله محمد بن أبي بكر، الجامع لأحكام القرآن، تحقيق: حامد الطاهر، دار الغد الجديد، ج16، ط1، 2010م، القاهرة، ص114.

[17] السعدي، تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، (ت.1376هـ)، مؤسسة الرسالة، ط1، بيروت، 202م، ص754.

سادسا: المنهج في التيسير والتخفيف: هو منهج فطري واقعي أُنزل ليخفف على الناس، قال تعالى: ﴿**يُرِيدُ ٱللَّهُ أَن يُخَفِّفَ عَنكُمْ ۚ وَخُلِقَ ٱلْإِنسَٰنُ ضَعِيفًا**﴾ [سورة النساء:28]، فهو يرفض التشدد في غير موضعه، ﴿**يُرِيدُ ٱللَّهُ بِكُمُ ٱلْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ ٱلْعُسْرَ**﴾ [سورة البقرة:185]، ودليل منهج اليسر في الهدي النبوي الشريف، قوله ﷺ:"**يسروا ولا تعسروا وبشروا ولا تنفروا**"[18]، جاء ليُغير ويُنظم حياة المجتمعات البشرية، ويقودها نحو الرقي الإيماني الحضاري المنضبط.

سابعا: منهج التغيير: من مزايا المنهج الإسلامي أنه مكتسب من صانعه الخالق عز وجل، العليم بحقيقة الإنسان الفطرية ومتطلباتها الغريزية، والله عليم بما يصلحه وما يفسده، أما المناهج الوضعية المادية، فهي مرهونة لحكم العقل الخاضع لهوى النفس، ومصالح واضعه، وغالبًا يكون فاقد للعدالة التي تحتجها البشرية، لذلك ها هي تعيش الظلم البشري.

ثامنا: الواقعية في المنهج الإسلامي: تعني التفاعل مع الواقع ليحمي الإنسان من ظلم نفسه وظلم غيره ويكرّمه، ويرفع من مقدار عقله، مع التسليم لأوامر الله تعالى ونواهيه، التي تطمئن لها النفوس(19)، ومناط الاجتهاد في النصوص القرآنية المتشابهة التي تحتمل أكثر من معنى، فالمنهج القرآني يمتلك القدرة على المناظرة الفكرية بالحجة والبرهان، في مناظرة ومحاجة المناهج الأخرى، ويساهم المنهج القرآني في بناء ذاتية الفرد المسلم، وذاتية الأسرة المسلمة، وذاتية الأمة المسلمة ويعمل لنهضتها، لذلك فالأخذ بالمنهجية الإسلامية ضرورة إسلامية لا انفكاك عنها، فهو المنهج الحق الذي يُعنى بإرشاد الذاتية الإنسانية، وبنائها وإصلاحها وتوجيهها نحو التفاعل الاستخلافي الحضاري العمراني، وليس بعد الحق إلا مناهج الهوى والضلال، فعظمة المنهج القرآني أنه يهدي للتي هي أقوَم، أي للأكثر سدّادًا والأنفع والأصلح والأكمل والأشمل، وهو المتوافق مع الفطرة الإنسانية.

لقوله تعالى: ﴿**إِنَّ هَٰذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ وَيُبَشِّرُ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا كَبِيرًا**﴾ [سورة الإسراء:9].

تاسعا: الجهة المُشرّعة: هو الله وحده جل في علاه مالك الملك، يمتلك حق التنزيل والتشريع، وفرض القوانين المنظمة لحياة البشرية بنظام الحق والعدل، لقوله تعالى: ﴿**وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ**﴾[سورة المائدة:48]، وبيَّن الله تعالى أن القرآن والكريم هو المرجع الأخير في الحكم في النزاعات بين الناس، قال تعالى:﴿**مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ**﴾[سورة المائدة:48] أي هي الصورة الأخيرة لدين الله، والشريعة التي جاء

---

18 الشيخان، باب ما كان النبي يتخولهم بالموعظة والعلم (69)، باب في الأمر بالتيسير وترك التنفير (1734).

19 السعدي، تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، (ت1376هـ)، مؤسسة الرسالة، ط1، 2002م، بيروت، ص754.

بها القرآن الكريم بصورتها الأخيرة [20]، وقال تعالى في المنهجية القرآنية التشريعية ﴿**لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا**﴾ [سورة المائدة:48]، أي إن لكل قوم منهاجه، ولكن منهاج الحياة التي رضيه الله للناس أجمعين هو هذا القرآن الكريم، خاتم الكتب والناسخ لها، وهو المرجع الذي يفصل بين أصحاب الديانات السماوية، ويفصل بين المسلمين أنفسهم. فلا تتبعوا أيها الناس شرائع ومناهج من وضع البشر، فهي لا تُفضي إلا للفساد.

عاشرا: المنهجية في الجانب التربوي: تميز المنهج التربوي القرآني بقدرته على تغيير الواقع التربوي، بما يحمل من الخصائص، فيأخذ نفوس الجماعة أثناء الأحداث، ثم يعقب بالآيات القرآنية على الأحداث، كما في غزوة بدر وأُحد، وما أحدثته في النفوس التي بها تحققت أعظم أساليب التربية بالجهد العملي البشري، فهذه الأساليب تعالج قضايا تربوية في واقع المجتمع، فتسيّره وفق المنهجية المشتملة على منظومة القيم الإسلامية المنبثقة من عقيدة التوحيد، التي مصدرها القرآن الكريم والسنَّة النبوية، المؤكَّدة بسيرة الأحداث والغزوات، وهكذا تم تغيير واقع الأمة للأكثر سدادًا، وللأصلح والأفضل، وبنقلة نوعية انطلاقًا من هذا الأسلوب الأمثل في المنهجية التربوية التي تهدف لبناء الذاتية الإسلامية للفرد المسلم الذي يحمل رسالة الإسلام، وبناء الأسرة المسلمة – اللبنة الأولى – في المجتمعات الإسلامية المتميزة بثقافتها الحضارية، ولقد ربى النبي ﷺ الرعيل الأول في مكة والمدينة، فهم الذين لامسوا أحداث نزول الوحي طوال ثلاثة وعشرين عامًا، وعايشوا الغزوات والأحداث، فتربوا على عين النبي محمد ﷺ، فكانت الآيات تتنزل فتعطر القلوب وتزكيها، فيبادروا إلى حفظها وتطبيقها. لقد عايشوا أيامًا وساعات ولحظات عجيبة وفريدة، رقَّت فيها قلوبهم شوقًا وحبًا لله ولرسوله، وقد انشرحت صدورهم بالمعية النبوية الشريفة، ولقد كان القرآن الكريم لهم منهجًا تربويًا روحيًا أحيا قلوبهم، وبأنوره تطهرت نفوسهم، فانطلق جيل الصحابة الكرام يحمل راية الإسلام بالمنهجية العقدية والتربوية والفكرية، وقد تربى على يديهم جيل التابعين الذي استلم رسالة الإسلام، فصنع جيل تابعيهم، وهكذا وصلتنا منهجية التربية القرآنية القيمية. قاله تعالى: ﴿**إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنكَرِ وَالْبَغْيِ ۚ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ**﴾[سورة النحل:90]، فهذه الآية الكريمة من أرجى آيات التربية على القيم القرآنية، ومن ميزاتها أنها تأمر بالأخذ بالمنهجية القائمة على قيم العدل والإحسان مقترنة بعقيدة الإيمان بالله واليوم الآخر الذي له الأثر الكبير في حمل النفوس على الاستقامة، انطلاقًا من تقوى الله وخشيته، والإقبال على طاعته، واجتناب نواهيه.

[20] قطب، سيد، في ظلال القرآن، دار الشروق، ج2، ط9، بيروت، 1980م، ص (902-903).

حادي عشر: مصادر المنهجية الإسلامية: تقوم المنجية التربوية على العمل بكتاب وسنّة النبي ﷺ، واتباع النبي ﷺ، قال تعالى: ﴿**فَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِهِۦ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَٱتَّبَعُواْ ٱلنُّورَ ٱلَّذِيٓ أُنزِلَ مَعَهُۥٓ ۙ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ**﴾ [سورة الأعراف:157]. يقول الإمام القرطبي: "قال ابن عباس وابن جبير: (**يَتَّبِعُونَ**) يعني شرعه ودينه وما جاء به الرسول صلى الله عليه وسلم"[21]. وتدلل هذه الآية الكريمة على منهجية الاتباع القرآنية، لما فيها من الانتفاع العظيم، المفضي إلى الفلاح في الدنيا والآخرة، ومدح الله تعالى أولئك المؤمنين الذين اتبعوه صلى الله عليه وسلم، وناصروه وعملوا بأحكام وتوجيها القرآن الكريم وهو النور الذي به تحيا الأمة وتبصر طريقها.

المطلب الرابع: قاعدة وحدة الأمة الإسلامية:

وحدة الأمة ضرورة عقدية واجتماعية وسياسية وأمنية وفكرية، وفُرقة الأمة الإسلامية معصية وخيانة، وسبيل لضعفها وخضوعها لمن هو أقوى منها، كما هو واقع اليوم.

أولا: مفهوم الوحدة لغة واصطلاحا:

الوحدة لغة: "قال الجوهري: الوَحْدَة: الانفراد. والواحد: هو الذي لا يتجزأ"[22].

الوحدة اصطلاحا: هي الترابطات المتعددة، كرابط العقيدة والعبادة والقرآن الكريم واللغة والفكر، وهي التي تجعل الأفراد والأشياء مجموعة في وحدة واحدة[23].

ثانيا: وحدة الأمة الإسلامية في العقيدة والعبادة: ترتكز هذه القاعدة على العامل الوحدوي العقدي، وعامل الوحدوي التعبدي، وعامل أحدية المُشرّع وهو الله عز وجل، وعامل الوحدة الفكرية والثقافية، ووحدة الانتماء والولاء والهوية، التي لخصتها الآية الكريمة، قال تعالى: ﴿**وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا ۚ وَاذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُم بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا وَكُنتُمْ عَلَىٰ شَفَا حُفْرَةٍ مِّنَ النَّارِ فَأَنقَذَكُم مِّنْهَا ۗ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ**﴾ [سورة آل عمران: 103]. يأمر الله تعالى في الآية الكريمة بالاستمساك بدين الله الذي أمركم به جميعًا، وكلمة "جميعًا" جاءت مؤكِّدة للوحدة، ولا تقبل أن يُستثنى فرد من أفرادها، والاعتصام بحبل الله هو عهد الله الذي عَهده إليكم في كتابه، وهو حبل الله الممدود من السماء إلى الأرض، والاجتماع على كلمة الحق، والتسليم لأمر

---

[21] القرطبي، أبو عبد الله محمد بن أبي بكر الجامع لأحكام القرآن، تحقيق: حامد الطاهر، دار الغد الجديد، ج7، ط1، 2010م، القاهرة، ص204.

[22] ابن منظور، لسان العرب، دار صادر، ج15، م2004، بيروت، ص166.

[23] مصالحة، محمود، وجوب وحدة الأمة الإسلامية، المنار للطباعة، (ط1)، 2017م، القدس، ص21.

الله"[24]. إذن الاعتصام: هو تمسُّك الأمة جميعها بحبل الله، وهو القرآن الكريم الذي فيه عهد الله تعالى وأصول دينه، و"**اعْتَصِمُوا**" فعل أمر أُمِرت به الأمة جميعها، وليس كل مسلم بمفرده، وفعل الأمر يفيد الوجوب إن لم تصرفه صارفة[25]، والتمسك بكتاب الله ليس على الخيار لا لحاكم ولا لمحكوم، والواو فاعل وهو الأمة، ثم جاء الأمر الثاني بالنهي عن التفرق ليؤكد الأمر الأول بوجوب الوحدة، وفي الآية الاستئنافية، وقد ورد الأمر الثالث في قوله تعالى: ﴿**وَلْتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنْ الْمُنْكَرِ وَأُوْلَئِكَ هُمْ الْمُفْلِحُونَ**﴾ [سورة آل عمران: 104]، وفعل "**وَلْتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ**"[سورة آل عمران: 104]، أمر ثالث بوجوب وجود الجماعة، وحرف "**مِنْ**" تفيد التبعيض، وتشير إلى تلك الجماعة، وضمير الجمع "**كُمْ**" "**الكاف**" للخطاب، و"**الميم**" للجمع، أي: هذا الخطاب موجه لكل الأمة، التي تنبثق عنها تلك الجماعة التي كُلفت بأمر الدعوة إلى الخير، والأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر، ثم يأتي الوعيد في سياق النهي التحريمي في الآية الآتية في قوله تعالى: ﴿**وَلا تَكُونُوا كَالَّذِينَ تَفَرَّقُوا وَاخْتَلَفُوا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمْ الْبَيِّنَاتُ وَأُوْلَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ**﴾ [سورة آل عمران، آية 105]، أوردت هذه الآية التهديد بإيقاع العقوبة الحتمية على من يفرِّق الأمة.

ثالثا: وحدة أمة الأنبياء والمرسلين: فهي وحدة الرسالة الضاربة في أعماق تاريخ البشرية منذ خلق آدم عليه السلام، حملها الأنبياء والمرسلين عليهم السلام، ومن تبعهم لإنقاذ البشرية من عبودية الشيطان وإضلاله وهوى النفس، إلى نور الإسلام وعدله ورحمته ورفعته، قال تعالى: ﴿**إِنَّ هَذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاعْبُدُونِ**﴾ [سورة الأنبياء:92]. ولقد فرضت النصوص القرآنية والسنة النبوية على المكلفين أداء صلوات الجُمع والجماعات، التي هي من أهم عوامل وحدة الأمة الإسلامية، وكذلك صيام رمضان وإيتاء الزكاة، وحج البيت الذي هو بمنزلة المؤتمر الإسلامي التعبدي السنوي الوحدوي التي تجتمع فيه من كل الشعوب الإسلامية بأعراقها فتجسد الوحدة العقدية التعبدية والفكرية في تلبية واحدة (لبيك اللهم لبيك)، لذلك فإن فريضة الحج تُجسد وحدة الأمة الإسلامية بكل أعراقها.

رابعا: الوحدة الاجتماعية: قال تعالى: ﴿**وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَى وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ**﴾ [سورة المائدة:2]. "تعاونوا" فعل أمر يفيد الوجوب إذا لم تصرفه صارفة، ولا يستطيع أحد من البشر أن يعيش وحده على وجه الأرض، فالإنسان مخلوق اجتماعي بطبعه، وهو بحاجة لمن يقف معه ويؤازره، فأمر الله عز وجل أن يتعاون المسلم مع أخيه ومع مجتمعه تعاونًا متبادلًا، وخدمة متبادلة، التي تجسد معاني وحدة

---

[24] الطبري، جامع البيان عن تأويل أي القرآن، تحقيق: التركي عبدالله، دار ابن حزم، ج5، (ط1)، 2001م، بيروت، ص (150-151).

[25] مصالحة، محمود، وجوب وحدة الأمة الإسلامية، المنار للطباعة، (ط1)، 2017م، القدس، ص25.

الأمة التي أوجبها الله تعالى، فعلى كل فرد أن يسعى لوحدتها، والتمسك بالقرآن الكريم الذي يشمل كل معاني التعاون الوحدوي التي تشمل كل الجوانب الحياتية الثقافية والفكرية، لذلك فإن وحدة الأمة الإسلامية حكمها على الوجوب في عملية بناء وإنشاء ونهضة الأمة. يقول ابن خلدون في الوحدة في البناء الحضاري العمراني:" أن الاجتماع للبشر ضروري، وهو معنى العمران الذي نتكلم فيه، وأنه لابد لهم من اجتماع من وازع حاكم يرجعون إليه؛ وحكمه فيهم : تارة مستندًا إلى شرع منزل من عند الله يوجب انقيادهم إليه إيمانهم بالثواب والعقاب ... وتارة إلى سياسة عقلية توجب انقيادهم إليها لّما يتوقعوا من ثواب ذلك الحاكم بعد معرفته بمصالحهم، فالأولى يحصل نفعها في الدنيا والآخرة ... لمراعاة نجاة العباد في الآخرة، والثانية إنما يحصل نفعها في الدنيا فقط"[26].

المطلب الخامس: قاعدة الشمولية:

هذه القاعدة هي من خصائص الشريعة الإسلامية التي تغطي بأحكامها جميع الجوانب الحياتية للمجتمعات في بناء الفرد والأسرة والمجتمع المسلم، في الجانب العقدي والجانب التعبدي والجانب التربوي، والجانب التعليمي، والجانب الاقتصادي والسياسي، والجانب الصحي والجانب الأمني.

أولا: الشمولية لغة واصطلاحا:

الشمولية لغة: الشَمْلَةُ: هي كِساءٌ ومِئْزرٌ من صوف عند العرب، وشَمْلَةٌ تشملك: أي: تسعك، والشمْلُ: الاجتماع، يقال: جمع الله شملكم. وفي حديث الدعاء: أسألك رحمة تجمع بها شملي. والشمل: الاجتماع[27].

الشمولية في الإسلام اصطلاحا: تعني النظام المتكامل الذي ينظم الشؤون الحياتية للمجتمع المسلم بكل جوانبها العقدية والعبادات، والتربوية والعلمية والاقتصادية والسياسية.

ثانيا: الشمولية في القرآن الكريم: وردت في قوله تعالى: ﴿**مَا فَرَّطْنَا فِي الْكِتَابِ مِنْ شَيْءٍ**﴾ [سورة الأنعام:38]. وفي قوله تعالى: ﴿**الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الإِسْلامَ دِينًا**﴾ [سورة المائدة:3]. أي أكمل الله الدين الإسلامي عقيدة وشريعة وعبادة في الفرائض والنوافل، وأكمله في التربية على القيم في العلاقات الاجتماعية والمعاملات المالية، وفي قضايا الأمة السياسية، فهو تام وشامل.

ووردت الشمولية في قوله تعالى: ﴿**إِنَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ يَهْدِى لِلَّتِى هِىَ أَقْوَمُ وَيُبَشِّرُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا كَبِيرًا**﴾ [سورة الإسراء:9]. وقوله تعالى يهدي للتي هي أقوم جاءت على الإطلاق،

---

[26] ابن خلدون، عبد الرحمن، مقدمة ابن خلدون، المكتبة العصرية، تحقيق درويش الجويدي، 2021م، بيروت، ص (277-278).

[27] ابن منظور، لسان العرب، دار صادر، ج8، بيروت، م2004، ص137.

فالاسم الموصول "التي" يفيد العموم، فيدلل أن للقرآن الكريم وظائف عظيمة، من أعظمها هداية أقوامٍ وأجيالٍ بلا حدود، في كل زمان ومكان، يهديهم للطريق الأقوَم والأكثر استقامة في عالم العبادة مع الموازنة بينها وبين التكاليف، يهدي للتي هي أقوم في العلاقات الزوجية، والأكثر قوامة في العلاقات بين الفرد والمجتمع، وبين المجتمعات ونظام الحكم[28]، يهدي للتي هي أقوم في عالم السياسة والاقتصاد في إنشاء الأمة والدولة، يهدي للتي هي أقوم في العلاقات الخارجية بأصحاب الشرائع الأخرى.

يهدي للتي هي أقوم في التصور الفكري والفلسفي في علاقة الإنسان بأخيه الإنسان، وعلاقته بالكون، فإن هذه الآية تظهر دلالاتها الإرشادية الشمولية إلى أبعد الحدود.

يتبيَّن من هذه الآية الكريمة أن القرآن الكريم ما ترك من أمر الدين إلا دل عليه، ففيه تبيان لسعة علم الله تعالى الذي يشمل الإحاطة بكل المخلوقات، بكياناتها وأرزاقها وأفعالها [29]، وعلمه يشمل البشرية في حياتها وتقلباتها ومآلاتها، لعل أصحاب الأفهام يدركون عظمة النظام الذي أودعه الله تعالى في الأمم، فعلمه سبحانه علم الإحاطة الشمولي، حتى إن هذه الآية قد تكون تنبيه للمسلمين بالرفق الحيوان الذي شملته العناية الإلهية، فكُلها في اللوح المحفوظ، وفي القرآن الكريم الذي أُنزل على النبي صلى الله عليه وسلم، تبيان لكل شيء، لقوله تعالى:﴿**وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تِبْيَانًا لِّكُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ**﴾ [سورة النحل: 89]، لقد شملت هذه الآية الكريمة "كل حلال وحرام، وما الناس محتاجون إليه في أمر دنياهم ودينهم ومعاشهم ومعادهم"[30]، فتنظم جميع شؤون المجتمعية، وتحفظ كيانهم وأمنهم، لذلك هم ليسوا بحاجة لشرائع غيرهم.

المطلب السادس: قاعدة الانتماء والهوية:

أولا: الانتماء لغة واصطلاحا

الانتماء لغة: انتمى هو إليه: "انتسب، انتمى فلان إلى فلان: إذا ارتفع إليه بالنسب"[31].

الانتماء اصطلاحا: هو الانتساب الحقيقي إلى أمر معين أو لفكرة ما أو لجماعة أو لدين يُجسِّد ذلك الانتماء بالقول والعمل.

الانتماء للأمة الإسلامية: هو الدخول في الإسلام، وهو نعمة ربانية بأن تكون فردًا منها، فتتبع أمة الأنبياء والمرسلين الأمة الواحدة، لقوله تعالى: ﴿**إِنَّ هَٰذِهِۦٓ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَٰحِدَةً وَأَنَا۠ رَبُّكُمْ فَٱعْبُدُونِ**﴾ [سورة الأنبياء:92]. أي: "هؤلاء الرسل المذكورون هم أمتكم وأئمتكم الذين بهم تأتمون، وبهديهم تقتدون، كلهم

---

[28] قطب، سيد، في ظلال القرآن، دار الشروق، ج4، ط9، 1980م، بيروت، ص2215.

[29] القرطبي، أبو عبد الله محمد بن أبي بكر، الجامع لأحكام القرآن، ج6، ط1، (2010م)، القاهرة، ص287.

[30] ابن كثير، مختصر ابن كثير، تحقيق محمد الصابوني، دار الفكر، ج2، (ب، ط)، ب، ت) بيروت، ص343.

[31] ابن منظور، لسان العرب، دار صادر، ج14، ط4، بيروت، 2004م، ص363.

على دين واحد، وصراط واحد"[32]. فكل مسلم حقًا ينتمي لهذه الأمة، قال القرطبي في قوله تعالى: ﴿**سَيَقُولُ السُّفَهَاءُ مِنَ النَّاسِ مَا وَلَّاهُمْ عَن قِبْلَتِهِمُ الَّتِي كَانُوا عَلَيْهَا ۚ قُل لِّلَّهِ الْمَشْرِقُ وَالْمَغْرِبُ ۚ يَهْدِي مَن يَشَاءُ إِلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ**﴾ [سورة البقرة:142]. و"السفهاء جمع، مفرده سفيه، وهو خفيف العقل، والمراد بالسفهاء هنا اليهود الذين بالمدينة، قاله مجاهد. قال السُدّي: المنافقون. وقال الزجاج: كفار قريش لما أنكروا تحويل القبلة، قالوا: قد اشتاق محمد إلى مولده وعن قريب يرجع إلى دينكم، وقالت اليهود: قد التبس عليه أمره وتحيَّر. وقال المنافقون: ما ولاَّهم عن قبلتهم، واستهزؤوا بالمسلمين. وفعل (**وَلَّاهُمْ**) يعني: عَدَلَهم وصرفهم"[33]. أي عدَلَ الجماعة المسلمة في المدينة التي هي أمة واحدة، التي لها خصائصها العقدية، ولها ثقافتها وانتماؤها، وهويتها الإسلامية الخاصة بها، فجعل الله الكعبة المشرفة قبلتها من دون الناس، وأكرمها بالقرآن الكريم، ومنَّ عليها بمحمد ﷺ إمام الأنبياء والمرسلين نبيًا هاديًا وقائدًا ورسولا، فدبَّ الحسد والبغضاء في قلوب أهل الكتاب من اليهود والمنافقين وكفار قريش.

ثانيا: الانتماء هوية: قال تعالى:﴿**إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ**﴾ [سورة المائدة:55]، جاءت هذه الآية الكريمة بما لا يدع مجالًا للشك، لقصر الولاء قصرًا عقديًا خالصًا لله ولرسوله وللذين آمنوا إيمانًا حقًا، بين الصف المسلم والمجتمع المسلم والأمة الإسلامية وصفوف سائر الأمم، "ولا يكون ولاء المسلمين إلا لقيادة واحدة من صفتها، وإقامة الصلاة لا مجرد أداء الصلاة، ولكن التي تنهى عن الفحشاء والمنكر"[34].

ثالثا: هوية الأنبياء والمرسلين، هوية الإسلامية خالصة، لقوله تعالى: ﴿**قُولُوا آمَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْنَا وَمَا أُنزِلَ إِلَىٰ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطِ وَمَا أُوتِيَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَمَا أُوتِيَ النَّبِيُّونَ مِن رَّبِّهِمْ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ**﴾ [سورة البقرة:136]. وقال تعالى على لسان يوسف عليه السلام:﴿**تَوَفَّنِي مُسْلِمًا وَأَلْحِقْنِي بِالصَّالِحِينَ**﴾ [سورة يوسف آية:101]. يتوجه يوسف عليه السلام لخالقه سبحانه مالك الملك، الرزاقِ ذو القوة المتين، الذي نجّاه من الجب، وعصمه من فتنة القصر، وأخرجه من السجن، وملَّكه حكم مصر، فكان غاية أن يكون وليًا لله تعالى، معبوده الذي ليسَ له معبود سِواهُ، أن يتوفاه على ملة الإسلام، وأن يجعله من الصالحين. إنها منتهى الطاعة والخضوع والانتماء والولاء لله تعالى، هذه هي حقيقة انتماء وولاء وهوية نبي الله يوسف عليه السلام. فعلى المسلم الحق أن يتصف بهذه العبودية، ويثبت على هذه الهوية الإسلامية.

---

[32] السعدي، عبد الرحمن، تحقيق عبد الرحمن بن معلا، ط1، مؤسسة الرسالة، 2002م، بيروت، ص530.

[33] القرطبي، أبو عبد الله محمد بن أبي بكر، الجامع لأحكام القرآن، ط1، دار الغد الجديد، ج2، 2010م، القاهرة، ص114.

[34] قطب، سيد، في ظلال القرآن، دار الشروق، ج2، ط9، 1980م، بيروت، ص920.

وقد تميزت هذه الآية الكريمة بمنهجية الدعوة الإسلامية التي تهدف لتحرير الإنسان من الجمود الفكري والتبعية العمياء للأنداد والأحزاب، والبراءة من تقليد الآباء في الشرك والضلال وهوى والشيطان.

رابعا: تميُّز المؤمنين بانتمائهم: عن أهل الخبث المصرُّون في البقاء على ضلال الشيطان. قال تعالى:﴿ **مَّا كَانَ اللَّهُ لِيَذَرَ الْمُؤْمِنِينَ عَلَىٰ مَا أَنتُمْ عَلَيْهِ حَتَّىٰ يَمِيزَ الْخَبِيثَ مِنَ الطَّيِّبِ ۗ وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُطْلِعَكُمْ عَلَى الْغَيْبِ وَلَٰكِنَّ اللَّهَ يَجْتَبِي مِن رُّسُلِهِ مَن يَشَاءُ ۖ فَآمِنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ ۚ وَإِن تُؤْمِنُوا وَتَتَّقُوا فَلَكُمْ أَجْرٌ عَظِيمٌ**﴾ [سورة آل عمران:179]، تُظهر هذه الآية الكريمة تميُّز سمات الجماعة المؤمنة المخلصة من صفات المنافقين الذين كتموا نفاقهم واندسُّوا في الجماعة المسلمة، ولما أُصيب المؤمنون بالمصاب الذي وقع يوم أُحد، وقد وصف الله تعالى ذلك بقوله: ﴿**وَمَا أَصَابَكُمْ يَوْمَ الْتَقَى الْجَمْعَانِ فَبِإِذْنِ اللَّهِ وَلِيَعْلَمَ الْمُؤْمِنِينَ**﴾[سورة آل عمران:166]، ليعلم المؤمنين الخُلَّص من المنافقين عند اختلاطهم بهم، حيث كان المنافقون يكتمون نفاقهم لما رأوا انتصار المؤمنين يوم بدر في إقبالهم على القتال، ولكن في غزوة أحدٍ، لمّا أصاب المؤمنين قرح الهزيمة، حيث أظهر المنافقون فرحهم بانتصار الكفار، فضحهم الله وأظهر نفاقهم[35]، لذلك بيَّن الله تعالى أهميَّة التمايز في قوله: ﴿**مَّا كَانَ اللَّهُ لِيَذَرَ الْمُؤْمِنِينَ عَلَىٰ مَا أَنتُمْ عَلَيْهِ حَتَّىٰ يَمِيزَ الْخَبِيثَ مِنَ الطَّيِّبِ**﴾ [سورة آل عمران:179] إنها الإرادة الإلهية التي تدخلت لترسم منهجية تميز المؤمنين من المنافقين، لكيلا يبقى هذا الاختلاط المثبط في صف المؤمنين الذين وصفهم الله تعالى بالطيبين، ووصف المنافقين بالخبيثين، بهذا التمايز في الانتماء، تنقية لصف الجماعة المؤمنة، الذي له أثره البالغ على أسباب النصر والهزيمة، فالجماعة الإسلامية لا تقبل المداهنة ولا المساومة ولا الاختلاط في المنهج والانتماء، وترفض التبعية لغيرها.

المطلب السابع: قاعدة الوسطية

أولا: الوسطية لغة واصطلاحا:

الوسطية: هي قاعدة قرآنية واجبة التطبيق، وليست نافلة ولا تطوعًا، ولا موضع فيه نظر، خروجًا من اتباع الهوى البشري المفرّط، وخروج من التشدد في غير موطن التشدد في حكم ورد فيه نص صريح، لقوله تعالى: ﴿**وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطاً لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ**﴾ [سورة البقرة:143]، والوسطية هي الأكثر واقعية والأكثر قبولًا لاعتدالها في الأمور.

الوسطية لغة: "وسط الشيء: ما بين طرفيْه، وأفضله وأعدله، وسطًا: أي عدلاً"[36].

---

[35] ابن عاشور، محمد الطاهر ابن عاشور (1937)، التحرير والتنوير، ج2، دار سحنون للنشر والتوزيع، تونس، ص178.

[36] ابن منظور، لسان العرب، دار صادر، ج15، ط4، 2004م، بيروت، ص208.

الوسطية اصطلاحا: هي قاعدة إسلامية في الاعتدال القيمي الذي يشمل الجوانب الحياتية، وذلك بالتوسط بين مناهج التفريط والتمييع والإباحية، وبين الإفراط بالتشدد في حكم في غير مواضعه. ولقد أُنشئت الجماعة المسلمة على قاعدة الوسطية، التي هي خصيصة من خصائص الشريعة الإسلامية، وهي شعار الدعوة الإسلامية العالمية المعاصرة، التي تتوافق مع أحاسيس الفطرة البشرية، في حين ينفر الناس من مشقة الغلو، ومشقة التفريط الإباحي، فالتشريع الوسطي هو المنهج الذي تطيقه النفوس وترغب فيه.

ثانيا: الوسطية خصيصة ربانية: قال الله عز جل: ﴿**وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا**﴾ [سورة البقرة: 143]. أرست هذه الآية الكريمة قاعدة الوسطية التي تتمتع بها شخصية الأمة الإسلامية، والوسطيةُ هي المركب الأهم في هوية الأمة المستقلة عن سائر الناس، وتعني الاعتدال في العقيدة والشريعة والتربية والفكر والتفكير والتصور.

قال الطبري في سياق تفسير هذه الآية: "هديناكم أيها المؤمنون بمحمد عليه الصلاة والسلام، بما جاءكم به من عند الله فخصصناكم بالتوفيق لقبلة إبراهيم وملته، وفضلناكم على من سواكم من أهل الملل ... وأنا أرى أن الوَسَط ... بمعنى: الجزء الذي بين الطرفين مثل (وسَط الدار) ... وأرى أن الله تعالى ... وصفهم بأنهم وسط؛ لتوسطهم في الدين، فلا هم أهل غلوّ فيه غلوّ النصارى ... وقولهم في عيسى ما قالوا فيه، ولا هم أهل تقصير كاليهود الذين بدلوا كتاب الله، وقتلوا أنبياءهم، وكذبوا على ربهم، وكفروا به، ولكنكم أهل توسط واعتدال"[37].

ثالثا: الوسطية بمعنى العدل: قوله تعالى :﴿**قَالَ أَوْسَطُهُمْ أَلَمْ أَقُلْ لَكُمْ لَوْلَا تُسَبِّحُونَ**﴾ [سورة القلم: 28]، "والأوسط هنا بمعنى الأحسن والأرجح عقلاً ورأياً، أو الأوسط سناً"[38].

"الأمة الوَسَط بكل معاني الوَسَط، في التصور والفكر والشعور والاعتقاد، لا تغلُ في التجرد الروحي ولا الارتكاس المادي، أمة وسَطًا في التنظيم والتنسيق والتشريع لنظام المجتمع الفطري الإنساني، وأمة وسطًا في إقامة نظام الحكم البديل لسائر الأنظمة، أمة وسَطًا في ارتباطات العلاقات، فلا تلغي شخصية الفرد، ولا تدعها تتلاشى في شخصية الجماعة والدولة، ولا تتركه فردًا جشعًا لا هم له إلا ذاته، وإنما تطلق من الدوافع والطاقات التي تؤدي إلى الحركة والنماء، أمة وسطًا في المكان والزمان[39].

رابعا: العدل بين الناس أمر رباني وخصيصة من خصائص الأمة، قال: ﴿**وَإِذَا قُلْتُمْ فَاعْدِلُوا وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَى وَبِعَهْدِ اللَّهِ أَوْفُوا ذَلِكُمْ وَصَّاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ**﴾ [سورة الأنعام: 152]، إن الله يأمر بالعدل

---

[37] الطبري، جامع البيان عن تأويل أي القرآن، تحقيق محمود شاكر، دار ابن حزم، ج2، ط1، 2013م، بيروت، ص11.

[38] الألوسي، شهاب الدين البغدادي، روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، تحقيق: فؤاد عبد الغفار، المكتبة الوقفية، ج14، القاهرة، ص49.

[39] قطب، سيد، في ظلال القرآن، دار الشرق، ج1، ط9، 1980م، بيروت، ص131.

والإحسان، وينهى عن سلوك قول وفعل الفُحش واتباع المنكرات وظلم الناس، وفي هذه الآية الكريمة يأمر الله بإقامة العدل، قال تعالى: ﴿**إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَى وَيَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ**﴾ [سورة النحل: 90].

خامسا: أمة وسطًا في نظام الحكم والدولة، فإمام المسلمين يجب أن يتحلى بإقامة العدل والحكم بإحقاق الحقوق في المجتمعات والأمة، لقوله تعالى: ﴿**يَا دَاوُدُ إِنَّا جَعَلْنَاكَ خَلِيفَةً فِي الْأَرْضِ فَاحْكُم بَيْنَ النَّاسِ بِالْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعِ الْهَوَىٰ فَيُضِلَّكَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ ۚ إِنَّ الَّذِينَ يَضِلُّونَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ بِمَا نَسُوا يَوْمَ الْحِسَابِ**﴾ [سورة ص: 26]، وهدد الله عز وجل الذين يتبعون أهواءهم بصناعة شرائع أنظمة الحكم والضلال، وبيَّن ذلك في قصة المتخاصميْن، حيث بغى أحدهما على الآخر، فدخلوا على داود عليه السلام، ليحكم بينهما بحكم الحق والعدل.

سادسا: أمة وسطًا مع غير المسلمين: أي عدلاً في منهجها وفي معاملاتها مع غير المسلمين، في الجانب الفردي والمجتمعي على صعيد الأمة في نظام الحكم، لقوله تعالى: ﴿**لَا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُمْ مِنْ دِيَارِكُمْ أَنْ تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ**﴾ [سورة الممتحنة: 8].

المطلب الثامن: القاعدة الأمنية:

أولا: الأمن لغة واصطلاحا:

الأمن لغة: هو" نقيض الخوف، أمن فلانٌ فلانًا، يأمن أمنًا. والأمَنَة هي الأمْنُ في الأرض، أي تمتلئ الأرض بالأمن فلا يخاف أحد من الناس" [40].

الأمن اصطلاحا: هو الطمأنينة في النفوس، فلا خوف على الذرية، ولا على والأعراض، ولا على والأموال، ولا على الديار، ولا على الأوطان من الأخطار.

ثانيا: الأمن المجتمعي: هذه القاعدة ضرورية التحقيق في بناء ونهضة المجتمعات الآمنة في بيوتها، والآمنة في أعمالها ومؤسساتها، والآمنة في بلادها، وفي حالة انعدام الأمن سيلحق الضرر في بناء ونهضة الأمة، فالإسلام بعقائده وبقيمه التربوية الإيمانية وشريعته العادلة يحقق العيش الآمن بين الناس، فلا يخاف أحد على نفسه، ولا على أسرته، ولا على ماله، ولا يخاف عدوًا خارجيًا، فإرساء قاعدة الأمن. هي الأمان والطمأنينة التي هي من أهم أهداف الدولة الإسلامية، فالأمن المجتمعي واجب شرعي، ولكن أنت المكلف عليك أن تكون منتبهًا حذرًا. كيف يخاف من وجد الله، وكيف يخاف المؤمنون حقًا الذين وصفهم الله

[40] ابن منظور، لسان العرب، دار صادر، ج1، ط4، 2004م، بيروت، ص163.

بقوله: ﴿**الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُم بِظُلْمٍ أُولَٰئِكَ لَهُمُ الْأَمْنُ وَهُم مُّهْتَدُونَ**﴾ [سورة الأنعام:82]، هم الذين أخلصوا أنفسهم لله تعالى، وهم الذين ﴿**لَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُم بِظُلْمٍ**﴾ [سورة الأنعام:82]، أي لا يخلطون إيمانهم بشرك، ولا عبادة مع عبادتهم لله، ولا يشركون طاعة لغير الله بطاعتهم الله، أولئك لهم الأمن في الدنيا والآخرة وهم مهتدون [41].

ثالثا: قوة الدولة جالبة للأمن: بالعمل على إعداد القوة الأمنية، التي تنقل شعبها من حالة الضعف إلى حالة القوة التي يحسب لها حساب، قال تعالى: ﴿**وَأَعِدُّواْ لَهُم مَّا ٱسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ ٱلْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِۦ عَدُوَّ ٱللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ وَءَاخَرِينَ مِن دُونِهِمْ لَا تَعْلَمُونَهُمُ ٱللَّهُ يَعْلَمُهُمْ**﴾ [سورة الأنفال:60]، أي ترهبون أعداءكم الذين يتربصون بكم الدوائر، ويعملون للقضاء عليكم وإبطال دينكم، ﴿**مَّا ٱسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ**﴾ [سورة الأنفال:60]، أي على الدولة المسلمة أن تُعدَّ المجتمعات والشعوب الإسلامية بالقوة الإيمانية، والقوة البدنية، والقوة العسكرية، ويشمل تصنيع السلاح، ليمتلكوا القدرة القتالية التي تخيف وترهب العدو، وترهب آخرين يُكنُّوا لكم العداوة بالخفاء، وكل ذلك يهدف لنشر الأمن بين المجتمعات الإسلامية.

رابعا: الحذر جالب للأمن: أمر الله تعالى بأخذ الحذر، وتأمين الجند من غدر الأعداء في ساحة القتال خلال إقامة الصلاة، قال تعالى:﴿**وَإِذَا كُنتَ فِيهِمْ فَأَقَمْتَ لَهُمُ الصَّلَاةَ فَلْتَقُمْ طَائِفَةٌ مِّنْهُم مَّعَكَ وَلْيَأْخُذُوا أَسْلِحَتَهُمْ فَإِذَا سَجَدُوا فَلْيَكُونُوا مِن وَرَائِكُمْ وَلْتَأْتِ طَائِفَةٌ أُخْرَى لَمْ يُصَلُّوا فَلْيُصَلُّوا مَعَكَ وَلْيَأْخُذُوا حِذْرَهُمْ وَأَسْلِحَتَهُمْ وَدَّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْ تَغْفُلُونَ عَنْ أَسْلِحَتِكُمْ وَأَمْتِعَتِكُمْ فَيَمِيلُونَ عَلَيْكُم مَّيْلَةً وَاحِدَةً**﴾ [سورة النساء:102]. هذه الآية دليل على ألا تسقط الصلاة حتى خلال القتال، وينبغي ألا يغفل المؤمنون عن صلاتهم، ولا عن سلاحهم في ساحة المعركة، حتى في حالة اشتباك المؤمنين مع العدو وجهًا لوجه واجب عليهم أداء صلاة الجماعة في المعركة، قال تعالى: ﴿**فَلْتَقُمْ طَائِفَةٌ مِّنْهُم مَّعَكَ**﴾ [سورة النساء:102]، فيتم تقسيم الجنود إلى قسمين، قسم يصلي خلف رسول الله ركعتين فقط في الصلاة الرباعية، ويسلم فينهض الذين صلوا خلف النبي ﷺ لأخذ مواقع إخوانهم في حراسة، فيتوجهوا نحو العدو ومعهم أسلحتهم الملقنة والجاهزة، والنصف الثاني الذي كان يحرس يأتي ويصلي خلف النبي صلى الله عليه وسلم، الركعتين الثالثة والرابعة، والنبي ﷺ يصلي أربع ركعات وحده. أي أنه في صلاة الخوف نصف الجيش يصلي مع الإمام ركعتين ثم يتوجه للحراسة، والنصف الثاني من الجيش الذي كان يحرس، يأتي ليصلي ركعتين بعد قعود الإمام القعود الأول، ويتابع الإمام بهم الصلاة، ووحده يصلي أربع ركعات.

[41] قطب، سيد، في ظلال القرآن، دار الشرق، ج2، ط9، 1980م، بيروت، ص1142.

قد تؤدى صلاة الحرب أيضاً قصراً ركعتين. عن ابن عمر قال: "**صلى رسول الله صلاة الخوف بإحدى الطائفتين ركعة، والطائفة الأخرى في مواجهة العدو، ثم انصرفوا وقاموا مقام أصحابهم مقبلين على العدو، وجاء أولئك ثم صلى بهم النبي ﷺ، ثم قضى هؤلاء ركعة وهؤلاء ركعة، وقال ابن عمر إذا كان خوف أكثر من ذلك، صلى راكبًا أو قائمًا إيماء**"[42]، وقوله تعالى: ﴿**وَلْيَأْخُذُوا حِذْرَهُمْ وَأَسْلِحَتَهُمْ وَدَّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْ تَغْفُلُونَ عَنْ أَسْلِحَتِكُمْ وَأَمْتِعَتِكُمْ فَيَمِيلُونَ عَلَيْكُمْ مَيْلَةً وَاحِدَةً**﴾ [سورة النساء:102]، يُستنبط من هذه الآية الكريمة أن على الدولة الإسلامية أن تكون مستعدة بكامل الاستعداد في الجانب العسكري، والمرابطة على الثغور، وعلى الدولة كذلك العمل على تصنيع وتحديث ترسانة أسلحتها بما يضمن لها السيادة الكاملة، وفيها أسلحة الردع الاستراتيجية، لرد أي عدوان خارجي محتمل، فلتحذر الدولة الإسلامية من أن تكون مرتهنة لدول تفرض عليها شروط استعمال السلاح عند شرائه. يقول مالك بن نبي: "هكذا نرى المجتمع الإسلامي من ناحية أخرى يضطر إلى الدفاع عن (قدرته) بقوة السلاح حينما تتهدد هذه القدرة بتلك الهرطقة، (كحروب الردة) التي زعمت إبطال حق الفقراء (الزكاة)[43].

المطلب التاسع: قاعدة الولاء والبراء

أولا: الولاء لغة واصطلاحا

إن هذه القاعدة العقدية أصل من أصول الإسلام، وعلامة من العلامات الدالة على محبته سبحانه وتعالى، التي تميزت بها الأمة الإسلامية.

الولاء لغة: هو القرابة والحب والطاعة والمعاهدة.

الولاء والبراء اصطلاحا: الولاء: هو الحب والنصرة والتحالف والتأييد والتعاون في النية والقول والعمل لله وبسنة رسوله ﷺ، ومع المؤمنين، والبراءة هي البغض والمعاداة للكفر وأهله [44].

والولي: هو الناصر، وقيل: المتولي لأمور العالم والخلائق، ومن أسمائه عز وجل: الوالي وهو مالك الأشياء، والولاية: هي بالكسر السلطان والإمارة، والولاية: النصرة"[45].

ثانيا: والولاء والبراء قاعدة المفاصلة العقدية: التي يتميز بها المسلمين عن غير المسلمين، فهي تشكل سياجًا عقديًا يحفظ الحالة الاجتماعية، وتُصوب المنهجية التربوية والسياسية والفكرية، وتعدُّ هذه القاعدة

---

[42] القرطبي، أبو عبد الله محمد بن أبي بكر، الجامع لأحكام القرآن، تحقيق: حامد الطاهر، دار الغد الجديد، ج5، ط1، القاهرة، 2010م، ص265.

[43] بن نبي مالك، الأعمال الكاملة، أفاق معرفة متجددة، دار الفكر المعاصر، ج3، ط2، 2018م، ص1775.

[44] عبد الغني، سعيد، الولاء والبراء في معتقد أهل السنّة والجماعة، دار الإيمان، 2006م، الإسكندرية، ص14.

[45] ابن منظور، لسان العرب، دار صادر، ج1، ط4، 2004م، بيروت، ص163.

آلية لكشف أهل النفاق، ودفع الكفر والكافرين، وتحافظ على نسيج الأمة الإسلامية الاجتماعي في الدولة الإسلامية، وكذلك تُعدُّ هذه القاعدة الركيزة المحدِدة لمعالم هوية الأمة الإسلامية، وتدخل في رسم خطوط التعامل مع غير المسلمين، وهي عامل وحدوي هام عليه تتوحد الأمة، حيث تجتمع على هذه القاعدة كل أعراق المسلمين، وهي ميزان أصيل في التوجيه الثقافي والفكري، ولكن في هذا الزمان افْتُقِدت العقيدة عند فئات من المسلمين بسبب الجهل، أو بما أصابت بعض العقول آفة الغزو الثقافي والفكري الغربي، فالعمل بعقيدة الولاء والبراء من أهم واجبات الدين الذي وردت فيها الآيات القرآنية، منها قوله تعالى: ﴿**إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ**﴾ [سورة المائدة: 55]. وقوله تعالى: ﴿**إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ**﴾ [سورة المائدة: 55] تفيد الحصر والقصر؛ وتعني: ما وليُّكم إلا الله ورسوله، وتعني لا تتولوا اليهود والنصارى، وأصحاب العقائد الوثنية[46].

ثانيا: الولاء بمعنى النصرة وجاء في وجوب ولاء ونصرة المؤمن لأخيه المؤمن، لقوله تعالى: ﴿**وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ**﴾ [سورة التوبة:71]، فعلى المؤمنين أن يوالي بعضهم بعضًا؛ وجاء في الحديث قوله ﷺ: (**المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضًا وشبك بين أصابعه**) [47]، ومن كان وليُّه الله ورسوله والمؤمنون يُستعصى هزيمته. وفي هذه الآية الكريمة: دليل قاطع على تفضيل الله المؤمنين، قال تعالى: ﴿**إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ**﴾ [سورة المائدة:55]، تُبين هذه الآية الكريمة أن الولاء على ثلاثة مراتب: ولاء لله تعالى، وولاء للرسول ﷺ، وولاء للذين آمنوا، أما ولاية الله عز وجل واضح صلاحها لكل زمان ومكان، أما ولاية للرسول ﷺ، فقد يقول قائل: إنها كانت زمن الرسول، وانتهت بعد وفاته، فالرد على هذه الشبهة، أنه بعد وفاته تكون الولاية للرسول بالتمسُّك بمنهجه وبسنته والاقتداء به واتباع أثره، فكأنما أنت في معيته عليه الصلاة والسلام، أما ولاية الذين آمنوا، فيجب أن تكون بمعيتهم ما دام المؤمنون يحملون رسالة الإسلام بشمولها، ظاهرين بالحق ساعين لإقامة منهج العدل، ويقيمون الصلاة حق إقامتها، ويؤدون زكاة أموالهم.

ويتميز المجتمع المسلم عن غيره بقاعدة الولاء والبراء، لقوله تعالى:﴿**وَٱلْمُؤْمِنُونَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍۚ يَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَيُطِيعُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓۚ أُوْلَٰٓئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ ٱللَّهُۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ**﴾ [سورة التوبة:71]، لقد أرست هذه الآية الكريمة مفهوم الولاء، بأن جعلت تناصر المؤمنين والمؤمنات واجبة، "فطبيعة الأمة المؤمنة، طبيعة وحدة في التكافل

---

46 الزحيلي، وهبة، التفسير المنير، دار الفكر المعاصر، ج19، 1991م، بيروت، ص9.

47 الشيخان، باب تعاون المؤمنين بعضهم بعضا (6026)، باب تراحم المؤمنين وتعاطفهم وتعاضدهم (2585).

والتضامن لتحقيق الخير ودفع الشر، الذي يحتاج إلى التعاون، ومن هنا تقف الأمة صفًا في نبذ عوامل الف.رقة"[48]. ترتكز طبيعة التضامن أفراد الأمة المؤمنة على ثلاثة أسس:

الأساس الأول: وحوب الأمر بالمعروف، دليل ذلك قوله تعالى: ﴿**يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ**﴾ [سورة التوبة:71]. وهو كل ما عُرف حُسْنه، من العقائد الحسنة، والأعمال الصالحة، والأخلاق الفاضلة، ولا يبادرون إلى ما تنكره أنفسهم.

والأساس الثاني: وجوب النهي عن المنكر، قال تعالى: ﴿**وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ**﴾ [سورة التوبة:71]، وهو كل ما خالف المعروف وناقضه من العقائد الباطلة، والأعمال الخبيثة، والأخلاق الرذيلة.

الأساس الثالث: وجوب طاعة الله، قال تعالى: ﴿**وَيُطِيعُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ**﴾ [سورة التوبة:71]، أي إنهم لا يزالون ملازمين لطاعة الله ورسوله على الدوام"[49].

ثالثا: البراء: لقد حذر الله تعالى من موالاة أهل الكتاب ومناصرتهم على المؤمنين، بل يجب التبرؤ من عقائدهم الفاسدة، ورفض معاداتهم للمؤمنين، قال تعالى محذرًا: ﴿**يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ ٱلْيَهُودَ وَٱلنَّصَٰرَىٰٓ أَوْلِيَآءَ ۘ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ ۚ وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمْ فَإِنَّهُۥ مِنْهُمْ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ**﴾ [سورة المائدة:51]، لقد حذَّرت الآية الكريمة المؤمنين من موالاة اليهود والنصارى، قال عكرمة: نزلت في أبي لبابة بن عبد المنذر، حين بعثه رسول الله ﷺ: إلى بنى قريظة، فسألوه: ماذا هو صانع بنا؟ فأشار بيده إلى حلقه، أي: إنه الذبح. وهذه الإشارة خيانة لله ورسوله في خطورة إفشائه حكم سعد بن عبادة رضي الله عنه "وقيل: نزلت في عبادة بن الصامت وعبد الله بن أبي بن سلول: فتبرأ عبادة رضي الله عنه من موالاة اليهود، وتمسك بها ابن أبي بن أبي سلول وقال: إني أخاف أن تدور الدوائر"[50]، وقوله تعالى: ﴿**وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمْ فَإِنَّهُۥ مِنْهُمْ**﴾[سورة المائدة:51]، تُحذِّر الآية الكريمة من يعضدهم ويناصرهم من المسلمين على المسلمين، وينقل أخبار المسلمين إليهم فإنه منهم، أي حكمه كحكمهم، وهذا الحكم باق إلى يوم القيامة لتنفيرهم من اتخاذ اليهود والنصارى أولياء، ويهود المدينة هم من اتخذ دين الإسلام هزوًا ولعبًا، وتشير هذه الآية الكريمة إلى طريقة المنهج التربوي الذي يجب أن تعتمده الجماعة المسلمة ليتم إعدادها لدورها[51]، في حمل رسالة الإسلام. وتعدُّ قاعدة الولاء والبراء العقدية التربوية من أهم القواعد التربوية في إنشاء الأمة المسلمة المتميزة عن غيرها، مع التشديد في النهي من موالاة اليهود والنصارى الذين هم ﴿**بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ**﴾ [سورة المائدة:51]، في التعاون والتحالف، فيجتمعون على معادتكم أيها المؤمنون.

---

[48] قطب، سيد، في ظلال القرآن، دار الشروق، ج3، ط9، 1980م، بيروت، ص1675.

[49] السعدي، عبد الرحمن، تحقيق عبد الرحمن بن المعلا، مؤسسة الرسالة ط1، 2002م، بيروت، ص344.

[50] القرطبي، أبو عبد الله محمد بن أبي بكر، الجامع لأحكام القرآن الكريم، دار الغد الجديد، ج6، ط1، 2010م، القاهرة، ص151.

[51] قطب، سيد، في ظلال القرآن، دار الشرق ج2، ط9، 1980م، بيروت، ص907.

رابعا: فضح المنافقين المندسّين في صفوف المؤمنين الذين يُظهرون الإيمان ويبطنون الكفر، وتُحذِّر هذه الآية من مكرهم وخطرهم الكبير على وحدة المجمعات والأمة المسلمة، وتُبيّن أنهم ليسوا من عداد مجتمع المؤمنين، فهم المتربصون الذين وحينما تُتاح لهم الفرصة ينقلبون على المؤمنين، لكونهم أقرب للكفر منهم للإيمان، ويرتكز نفاقهم على ثلاثة أسس على نقيض صفات المؤمنين، قال تعالى:﴿**ٱلْمُنَٰفِقُونَ وَٱلْمُنَٰفِقَٰتُ بَعْضُهُم مِّنۢ بَعْضٍۘ يَأْمُرُونَ بِٱلْمُنكَرِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمَعْرُوفِ وَيَقْبِضُونَ أَيْدِيَهُمْۚ نَسُوا۟ ٱللَّهَ فَنَسِيَهُمْۚ إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ**﴾ [سورة التوبة:67]. المنافقون يوالون بعضهم بعضًا ويتناصرون بينهم الأساس الأول: أن من طبعهم الأمر بالمنكر، والأساس الثاني: أن من طبعهم النهي عن المعروف، فهم يحرصون على تفشي المنكرات في المجتمعات المسلمة، الأساس الثالث: أن من طبعهم لا يذكرون الله إلا قليلا فنسيهم من رحمته، فسهل عليهم موالاة الكفار.

المطلب العاشر: قاعدة الاستخلاف الحضاري العالمي

أولا: الاستخلاف لغة واصطلاحا

الاستخلاف لغة: "مصدره استَخْلَفَ، واستخلف فلانًا عن فلان: أي جعله مكانه، والخليفة: الذي يُستخلف ممن قبله، واستخلفه: جعله خليفة، يقال للأئمة خلفاء الله في أرضه، والخلافة: الإمارة"[52].

الاستخلاف اصطلاحا: يعني: تَسَلُّم آدم وذريته مقاليد الحكم والسلطان في الأرض لعمارتها بمنهج العبودية لترسيخ العدالة الإلهية في البشرية.

ثانيا: الاستخلاف في الأرض، هي قاعدة قرآنية عالمية من أعظم مقاصد رسالات الأنبياء والمرسلين جميعًا من لدن آدم عليه السلام الخليفة الأول، ودليل ذلك، قوله تعالى: ﴿**وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً**﴾ [سورة البقرة:30]، الخطاب في الآية الكريمة موجه إلى خاتم الأنبياء والمرسلين محمد ﷺ، الذي بعثه الله بشيرًا ونذيرًا ورحمة للعالمين، فأنزل عليه رسالة الاستخلاف، وعلى نهجها شيَّد الصحابة دولة الخلافة الإسلامية الحضارية الأولى وفق المنظومة القيمية الإنسانية، فرسالة الإسلام تحمل كل مقومات الرسالة العالمية. وهذه القاعدة منوطة بتطبيق مفهوم الحاكمية، بإقامة نظام الحكم الإسلامي وفق الشريعة الإسلامية، فالحاكمية هي النظام الذي ينظم الشؤون الحياتية للشعوب والمجتمعات في كل جوانبها.

ثالثا: الحاكمية في المفهوم الإسلامي: هي منظومة الشرائع والأحكام الفقهية والقضائية المنبثقة من أصول الفقه، التي يقوم عليها نظام الحكم في الدولة الإسلامية، ومن أدلتها قوله تعالى في خطابه للنبي ﷺ،

[52] ابن منظور، لسان العرب، دار صادر، ج5، ط4، 2004م، بيروت، ص132.

قال تعالى: ﴿**إِنَّا أَنزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِتَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ بِمَا أَرَاكَ اللَّهُ ۚ وَلَا تَكُن لِّلْخَائِنِينَ خَصِيمًا**﴾ [سورة النساء:105]. أي لقد أنزل الله تعالى القرآن الكريم بالحق ليحكم النبي ﷺ به بين الناس بالحق، بتوجيه الله الحق في قصة ملفتة للتفكر، بالرغم من عداء يهود المدينة وكيدهم لرسول الله ﷺ وللمسلمين، أُنزلت الآية الكريمة تخاطب النبي ﷺ لتبرئة لبيد بن السهل وهو يهودي من السرقة، وقيل زيد بن السمين، وتفضح وتجرم السارق المنافق، وتقيم حكم الله ليحكم بين الناس بالعدل، فلا محاباة لأحد على أحد[53]. ومن الدلالة على أن الحاكمية لا تكون إلا لله قوله تعالى: ﴿**إِنِ الْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ ۚ أَمَرَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ ۚ ذَٰلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ**﴾ [سورة يوسف:40]، لأن الله تعالى هو الذي يأمر وينهى ويشرع الشرائع والأحكام، العادلة التي تعود بالخير على الناس.

رابعا: مبدأ الشورى: هو أحد الأسس الذي تقوم عليه كُليَّة نظام الحكم والحاكمية وفق نظام الاستخلاف في الأرض، قال تعالى: ﴿**وَالَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِرَبِّهِمْ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَأَمْرُهُمْ شُورَىٰ بَيْنَهُمْ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ**﴾ [سورة الشورى:38].

قال القرطبي: "الذين استجابوا لربهم وآمنوا بالرسول واختاروا من بينهم اثني عشر نقيبًا استجابة للرسول هم الأنصار، فكان الأنصار يتشاورون في الأمور قبل قدوم الرسول للمدينة فمدحهم الله[54]. وقال الحسن: "ما تشاور قوم قط إلا هُدوا لأرشد أمورهم"[55]، قال سيد قطب في قوله تعالى: ﴿**وَأَمْرُهُمْ شُورَىٰ بَيْنَهُمْ**﴾ "أمرهم كله شورى، ليصبغ الحياة كلها بهذه الصبغة ... قبل قيام الدولة الإسلامية، وهذا الطابع أعم وأشمل في حياة المسلمين والدولة، إنه طابع حياة الجماعة الإسلامية ... وما الدولة الإسلامية إلا إفراز طبيعي للجماعة المسلمة، ونظام الشورى طابع ذاتي للحياة الإسلامية، وسمة للجماعة المختارة لقيادة البشرية"[56].

وخطاب الشورى في قوله تعالى: ﴿**وَأَمْرُهُمْ شُورَىٰ بَيْنَهُمْ**﴾ جاء التنكير هنا ليدلل على مطلق الشورى من غير تقييد لجميع الأمة الإسلامية، فيما يتعلق بسياسة الناس، وممكن توظيف مبدأ الشورى في انتخاب أهل الحل والعقد، ممن اجتمع فيهم مواصفات العلم والعدالة لمجلس الشورى في الدولة الإسلامية المعاصرة.

خامسا: الخلافة العالمية: هي مقصد إسلامي في غاية الأهمية، وغاية قرآنية عالمية بدلالات الآيات القرآنية، التي وصل عددها في القرآن الكريم إلى ثلاث مئة وخمسين آية، وهناك أربع آيات صريحة تُعْلِن بكل وضوح أنَّ القرآن ذِكْرٌ لجميع العالمين نذكر منها، قوله تعالى: ﴿**إِنْ هُوَ إِلاَّ ذِكْرَى لِلْعَالَمِينَ**﴾ [سورة يوسف: 104]، [القلم: 52]، و[التكوير: 27]. أي ما القرآن الكريم إلا تذكير لجميع الناس، يَنْتَفِعون به في

---

[53] القرطبي، أبو عبد الله محمد بن أبي بكر، الجامع لأحكام القرآن، تحقيق: حامد الطاهر، دار الغد، ج5، ط1، 2010م، القاهرة، ص271.

[54] المصدر السابق ذاته، ج16، ص29.

[55] الزيعلي، جمال الدين، كتاب تخريج الأحاديث والآثار، ج1، تحقيق علي عمر بادحدح، 1417هـ، ص49.

[56] قطب، سيد، في ظلال القرآن، دار الشرق، ج5، ط9، 1980م، بيروت، ص 3165.

صلاح اعتقادهم، طاعة ربهم، وتهذيب أخلاقهم، والمحافظة على حقوقهم، ودوام انتظام جماعاتهم، وكيف يعاملون غيرهم من الأمم الذين لم يتبعوا القرآن الكريم، وكلمة (العالمين) تعمّ كل البشر، لأنهم مدعوون للاهتداء به ومستفيدون مما جاء فيه"[57].

ومن الآيات التي صَرَّحت بعالمية القرآن العظيم، وقوله تعالى :﴿**تَبَارَكَ الَّذِي نَزَّلَ الْفُرْقَانَ عَلَى عَبْدِهِ لِيَكُونَ لِلْعَالَمِينَ نَذِيرًا**﴾ [سورة الفرقان: 1]. يحمد الله تعالى نفسه في هذه الآية الكريمة، أثناء ببيان عظمته وكمال أوصافه وتفرده بالوحدانية، وكثرة خيراته ونعمه على عباده، فهو الذي نزَّل الفرقان أي القرآن الكريم على الرسول ﷺ يفرق بين الحق والباطل، فشمل العالم العلوي والعالم السفلي، أُرسل لكون نذيرًا لعالم الإنس وعالم الجن[58]، هذه الآية الكريمة تدلل على عالمية القرآن الكريم، وعلى عالمية رسالة الإسلام.

وقوله تعالى :﴿**وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلاَّ رَحْمَةً لِلْعَالَمِينَ**﴾ [الأنبياء: 107]، وقال تعالى: ﴿**قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ يُحْيِي وَيُمِيتُ فَآمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ النَّبِيِّ الْأُمِّيِّ الَّذِي يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَكَلِمَاتِهِ وَاتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ**﴾[سورة الأعراف:158]. يخاطب اللهُ تعالى رسوله محمدًا ﷺ، فيأمره بمخاطبة البشرية ويقول: ﴿**يَا أَيُّهَا النَّاسُ**﴾، هذا الخطاب من دلائل عالمية رسالة الإسلام، فهو موجه للعربي والعجمي وللأحمر والأسود في قوله تعالى: ﴿**إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا**﴾ وكلمة "جميعا" تؤكد عالمية أن الرسالة الإسلام للناس كافة[59]، فهو مرسلٌ من الذي وحدَه له ملك السماوات والأرض، وصاحب القدرة المطلقة على إحياءُ الخَلقِ وإماتتهم، فآمِنوا أيُّها النَّاس باللهِ ورَسوله مُحَمَّدٍ ﷺ، النَّبيّ الأمّي، الذي يؤمِنُ باللهِ وكَلماته، هذه هي طريق الهداية ولا طريق سواها.

خامسا: وقوله تعالى :﴿**إِنَّا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ لِلنَّاسِ بِالْحَقِّ فَمَنْ اهْتَدَى فَلِنَفْسِهِ وَمَنْ ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا وَمَا أَنْتَ عَلَيْهِمْ بِوَكِيلٍ**﴾ [سورة الزمر: 41]. تشير هذه الآية الكريمة أيضًا إلى عالمية القرآن الكريم، بأنه أنزل بالحق من عند الله الحق على نبي الحق هداية لكافة البشرية، فمن اهتدى انتفع به وفاز في دنياه وآخرته، ومن ضلَّ فضلاله يعود على نفسه بالخسران المبين في دنياه وآخرته.

سادسا: الإنجاز التاريخي لحسن البنا كان في سياق الإحياء الإسلامي للانتقال "بأسس المشروع الحضاري الإسلامي ... كما صاغه الإمام الشهيد حسن البنا لحركة الصحوة الإسلامية المعاصرة المتمثلة بحركة الإخوان المسلمين ... وإن الحضارة الغربية بمبادئها المادية قد انتصرت في هذا الصراع الاجتماعي على الحضارة

---

[57] ابن عاشور، محمد الطاهر ابن عاشور، التحرير والتنوير، دار سحنون للنشر والتوزيع، ج30، تونس، ص165.

[58] السعدي، عبد الرحمن، تيسير كريم الرحمن في تفسير كلام المنان، تحقيق عبد الرحمن بن المعلا، مؤسسة الرسالة، ط1، 2002م، ص 577.

[59] ابن كثير، الحافظ عماد الدين، مختصر تفسير ابن كثير، تحقيق: الصابوني محمد، دار الفكر، ج2، بيروت، ص56.

الإسلامية بمبادئها القويمة الجامعة للروح والمادة معًا في أرض الإسلام ... وانتصرت في الميدان السياسي والعسكري ... ونحن نريد أن نفكر تفكيرًا استقلاليًا يعتمد على أسس الإسلام، لا على أسس الفكرة التقليدية المقيَدة بنظريات الغرب واتجاهاته، ونريد أن نتميز بمشخصات حياتنا كأمة عظيمة مجيدة"[60]، بمعنى أن تغيير واقع الأمة بتشييد نهضة معاصرة، لا بد أن يقوم على مشروع إسلامي استقلالي نهضوي تربوي قيمي وفكري وانتمائي، وسياسي واقتصادي، منطلقه المبادئ الحضارية القويمة. ولكن لا بد من التغلب على عوائق التقدم الحضاري للأمة، فعلى الدعاة التعاون لإحداث إصلاح حقيقي، لا يكون إلا بأيدينا، ومن منظورنا العقدي والفكر الإسلامي، وليس عبر الآخرين، أو عملائهم الذين يسعون لتحقيق أهدافهم ومصالحهم، والإصلاح يجب أن يشمل "كل النواحي الذي أصابها الفساد السياسي والفساد الاقتصادي، والفساد الإداري، والفساد الأخلاقي"[61]، والفساد الثقافي والتربوي، والفساد الفكري.

يقول المفكر مالك بن نبي في حديثه عن المجتمع الإسلامي المعاصر إنه: "يستمد دفعة الإقلاع الحضاري من العالم الثقافي للصفوة من أبنائه الذين نالوا تعليمهم في الجامعات الغربية"[62] والصفوة التي يقصدها كأمثاله الذين نالوا تعليمهم ولم يغرقوا بالثقافات الغربية، واستمسكوا بالإسلام عقيدة وثقافة وانتماء، لذلك أنيط بالأمة الإسلامية حمل رسالة الإسلام العالمية، والمشروع النهضوي الإسلامي المعاصر الذي يعيد للأمة وحدتها وقوتها لتأخذ دورها الحضاري الطلائعي بين الأمم، وفق المنهج التطبيقي العملي للقواعد القرآنية.

لقد تمخّضت هذه الدراسة عن الاستنتاجات الآتية:

1- إن أهم ما قامت به هذه الدراسة، هو استخلاص القواعد القرآنية التي تشكل أُسُس بناء الذاتية الإسلامية للمسلم والمجتمعات والأمة الإسلامية.

2- لقد كشفت هذه الدراسة عن الغاية الكبرى للقرآن الكريم، وهي بناء وإنشاء الأمة الإسلامية التي تحمل رسالة الخيرية التغييرية الحضارية العالمية المعاصرة.

3- بيَّنت هذه الدراسة منهجية القواعد القرآنية القائمة على القيم القرآنية، لإقامة الدولة الإسلامية المعاصرة العادلة، مقابل دول الاستبداد والهيمنة التي ملأت الأرض ظلمًا وجورًا.

4- لقد جلَّت هذه الدراسة القواعد القرآنية التي ترتكز على العقيدة والشريعة والتربية الإسلامية والفكر الإسلامي، وبيَّنت تميُّز الهوية الثقافية للفرد والمجتمع والأمة الإسلامية عن غيرها.

---

[60] عمارة، محمد، الإسلام في مواجهة التحديات، نهضة مصر، ط1، 2007م، القاهرة، ص (358-359).

[61] القرضاوي، يوسف، فقه الوسطية الإسلامية والتجديد، دار الشروق، ط1، 2010م، القاهرة، ص240.

[62] بن نبي مالك، الأعمال الكاملة، أفاق معرفة متجددة، دار الفكر المعاصر، ج3، ط2، 2018م، ص1776.

5- يجب أن يسبق إن انطلاق المشروع الحضاري الإسلامي العالمي، إصلاحات وفق المنظور الإسلامي في جميع الجوانب الحياتية في أركان الدول القطرية القومية العربية، ولن يتحقق ذلك إلا بأيدينا وليس بأيدي غيرنا.

6- أظهرت هذه الدراسة انطلاقًا من مقاصد القواعد القرآنية، أن وجوب وحدة المجتمعات وشعوب الأمة الإسلامية والعربية، ضرورة عقدية واجتماعية وتربوية وسياسية وفكرية وأمنية، أثناء انطلاق المشروع الإسلامي النهضوي العالمي.

7- تؤكد هذه الدراسة أن ما جنته الأمة العربية والإسلامية من الضعف والتفكك والفُرقة والتخلف الحضاري، والتبعية للهيمنة الاستعمارية، كان أهم أسبابها، إزاحة دولة الخلافة الإسلامية عن قيادة الأمة، وإبعاد الإسلام عن تسيير حياة المسلمين في بلادهم، واستبداله بالنظام القومي الغربي العلماني المستورد.

8- موقف الجامعة العربية التي هي فكرة وزير خارجية بريطانيا، كان رافضًا لوحدة الأمة العربية والإسلامية، وقد كرست الفُرقة والانقسام وعدم الوحدة عل صعيد الأنظمة العربية.

9- القومية العربية بقابليتها للاستعمار الغربي، تعمل على تحقيق مصالح الغرب المستعمر السياسية والاقتصادية والعسكرية، وقد ثبت ذلك بتحالف العديد من الدول العربية القومية مع المستعمر الأمريكي في اسقاط دولة العراق القومية البعثية، وتطبيع دول عربية قومية مع دولة الاحتلال الصهيوني للأرض الفلسطينية، والمسجد الأقصى المبارك.

10- التلاقي الثقافي بين الفكر القومي العربي العلماني، وبين الفكر الثقافي القومي العلماني الغربي، أنتج هوية ثقافية عربية علمانية غربية هجينة، متحالفة ومتآلفة ومتعاونة مع الهوية الغربية، ومتنافرة غالبًا ورافضة للهوية الثقافية الإسلامية، ومجهضة للمشروع الإسلامي النهضوي، ومنقلبة عليه في كثير من الدول العربية.

المصادر والمراجع

المصادر:

القرآن الكريم

كتب الحديث:

1. البخاري، أبو عبد الله محمد بن إسماعيل، (ت. 256هـ/870م)، صحيح البخاري، تحقيق: طه عبد الرؤوف سعيد، ط1، مكتبة الإيمان، (المنصورة، مصر)، 1423هـ/2003م.
2. الترمذي، أبي عيسى محمد بن عيسى بن سورة، (ت. 269هـ/883م)، سنن الترمذي، إشراف: عبد العزيز محمد آل الشيخ، ط3، دار السلام للنشر والتوزيع، (القاهرة، مصر)، 1432هـ/2011م.

3. ابن حنبل، أحمد أبو عبد الله بن محمد الشيباني الهذيلي، (ت. 241هـ/855م)، مسند أحمد، 15 جزء، ط2، دار المنهاج، 1434هـ/2013م.
4. أبو داود، سليمان بن أشعث السجستاني، (ت. 275هـ/888م)، سنن أبي داود، (ب. ط)، دار الفكر، (القاهرة، مصر)، 1431هـ/2010م.
5. مسلم، أبي الحسين الحجاج القشيري النيسابوري، (ت. 261هـ/875م)، صحيح مسلم، (ب. ط)، مكتبة الإيمان، (المنصورة، مصر)، 1431هـ/2010هـ.
6. النسائي، أبو عبد الرحمن أحمد بن شعيب النسائي، (ت. 303هـ/915م)، دار الفكر للتراث، (القاهرة، مصر)، 1431هـ/2010هـ.

المصادر:

1. الألوسي: شهاب الدين البغدادي، (ت. 1270هـ/1854م)، روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، 14 جزء، تحقيق: فؤاد عبد الغفار، (ب. ط) المكتبة الوقفية، (القاهرة، مصر)، (ب. ت).
2. ابن خلدون، أبو زيد، عبد الرحمن بن محمد، (ت. 808هـ/1406م)، مقدمة ابن خلدون، المكتبة العصرية، تحقيق: درويش الجويدي، (بيروت، لبنان)، 1442هـ/2021م.
3. الطبري، أبو عبد الله، محمد ابن جرير، (ت. 319هـ/931م)، جامع البيان عن تأويل أي القرآن، 15 جزء، تحقيق: محمود شاكر، (ب. ط) دار ابن حزم، (بيروت/لبنان)، 1434هـ/2013م.
4. القرطبي، أبو عبد الله محمد بن أحمد الأنصاري، (ت. 671هـ/1273م)، الجامع لأحكام القرآن الكريم، 20 جزء، دار الغد الجديد، (القاهرة، مصر) 1431هـ/2010م.
5. ابن منظور، أبو الفضل، محمد بن مكرم، لسان العرب، 18 جزء، دار صادر، ط4، (بيروت، لبنان)، 1425هـ/2004م.

المراجع:

1. الزحيلي، وهبة، التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج، 32 جزء، ط1، دار الفكر المعاصر، (بيروت، لبنان)، 1411هـ/1991م.
2. السرجاني، راغب، العلم وبناء الأمم دراسة تأصيلية لدور العلم في بناء الدول، ط1، مؤسسة اقرأ، (القاهرة، مصر) 1428هـ/2007م.
3. السعدي عبد الرحمن، تيسير كريم الرحمن في تفسير كلام المنان، تحقيق: عبد الرحمن بن المعلا، ط1، مؤسسة الرسالة، (بيروت/لبنان)، 1423هـ/2002م.
4. الشعراوي، محمد متولى الشعراوي، (2010م)، خواطر الشعراوي، دار الإسلام للنشر والتوزيع، مصر.
5. ابن عاشور، محمد الطاهر ابن عاشور(1937م)، التحرير والتنوير، دار سحنون للنشر والتوزيع، ج30، تونس.
6. عبد الغني سعيد، (2006م)، الولاء والبراء في معتقد أهل السنّة والجماعة، دار الإيمان، الإسكندرية.
7. عمارة محمد، (2007م)، الإسلام في مواجهة التحديات، نهضة مصر، ط1، القاهرة.
8. القرضاوي يوسف، (2010م)، فقه الوسطية الإسلامية والتجديد، دار الشروق، ط1، القاهرة.
9. قطب، سيد، (1980م)، في ظلال القرآن، دار الشرق، بيروت.
10. مصالحة محمود، (2017م)، وجوب وحدة الأمة الإسلامية، المنار للطباعة، (ط1)، القدس.
11. بن نبي مالك بن عمر، (1986م)، شروط النهضة. ترجمة: عبد الصبور شاهين، (ب. ط)، دار الفكر، دمشق.

12. ابن منظور، أبو الفضل محمد بن مكرم، لسان العرب، (2004م)، دار صادر، ط4، بيروت.

دراسات سابقة:

1. بادحدح، علي عمر، كتاب تخريج الأحاديث والآثار الواقعة في الكشاف للزمخشري، 3 أجزاء، رسالة ماجستير، كليَّة الدعوة وأصول الدين، جامعة أم القرى، (مكة المكرمة، السعودية)، 1417هـ/1996م.